كتاب زهرة الآس

في

بناء مدينة فاس

للامام العالم العلّامة أبي الحسن على الجزنائي

طُبع هذا الكتاب

على اعتناء الشيخ ألفراد بيل

مُدير مدرسة تلمسان



سنة ١٣٤٠ / ١٩٢٢

بمطبعة باستيد - جوردان سابفا والان نجول كاربونيل في الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله

كتاب زهرة الآس في بناء مدينة فاس

للامام العالم العلامة ابي الحسن علي الجزنائي رحمه الله

الحمد الله الذى جعل الحمد فاتحة الكتاب واوّل كلام الخلق يوم الحساب وصلى الله على سيدنا محمد المنتخب من لباب الالباب والرضى عن آله وصحبه فأكرم بهم من أهل واصحاب

وبعد يحتوي هذا الكتاب على بابين الباب الاول في ذكر مَن اسسها من الادارسة الحسنيين . الباب الثاني في ذكر من أدارها بالاسوار وذكر جوامعها وما انتهت اليه من الدور والحمامات وما جاء من الثناء عليها وعلى ساكنها من العلماء المرضيين .

الباب الاول

وهذا الباب يستدعي الكلام على فضل الإقليم وحد اصقاعه وحكم أرضه واول من افتتحه وسبب قدوم ولي الله ادريس وذكر عقبه الذين أسسوا فاسًا الى غير ذلك مما يتعلق به من التنبيه عليه والتذكير بما انضاف من الأمور اليه اما فضله فقد رُوي عن سفيان بن عُيَيْنة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرةَ أربعين خريفا لا يغلُقه الله تعالى

حتى تطلُع الشمس من مغربها نقله ابن الرقيق وفي المصنفات الصحاح من رواية سعيد بن ابي وقاص وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقومَ الساعةُ ومن طريق أخرى لا يضرهم من خالفهم او خَذَلهم حتى تقومَ الساعة وأهل المغرب فهم أهل المغرب الذي هو ضد المشرق على اصح التاويلات وأوضح الدلالات وحقيقة المغرب هو المكان الواقع في شق الغربي قال احد الشعراء

(المجتث)

المغـــرب شيء مليح ولي دليـــل عليـــه
البـدر يرقـــب منه والشمس تجري إليه

وحكى ابو الجلجل في طبقات الاطباء ان ملك اليونان كتب الى عامله بارض بابل ان يبعث اليه بقراط الحكيم بتبجيل وتكريم وأمره ان يَدْفَعَ اليه جملة قناطير من الذهب لينقله وامتنع وما ذلك إلا لفضل اقليمه على غيره وأرض بابل من الاقليم الرابع الذى قاس منه واول بلاد المغرب على ما حكاه صاحب جغرافيا جبال برقة وجبال اوثان في المشرق وهذه الجبال آخر عمل مِصر وأول عمل القيروان و ينقسم المغرب على ثلاثة اصقاع الصقع الاول هو موضع كرسي إفريقية من جبال برقة واوثان إلى جبال نفوسة والصقع الثاني المغرب الاوسط واوله تاهرت (1) إلى جبل سبتة إلى جبال دَرَن والصقع الثالث السوس الاقصى وحدّه في المغرب البحر المحيط الاعظم من ماسة الى صحراء

(1) Mst = تيهدرت.

المرابطين وهذا الاقليم الرابع هو الاوسط من الأقاليم السبعة التي رسمها حكماء الهند وهو أَعْمَرُهَا وفيه ارض بابل وجزيرة العرب وبقية بلاد البربر في أقصى المغرب وبعض مدن جزيرة الاندلس كاشبيلية وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية وفيه بغداد وباعتداله اعتدلت ابدان اهله فسلموا من شُقْرة الروم وسواد الحبش وغلظ الترك وجفاء اهل الجبال ودمامة اهل الصين وكما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة والذكاء والعلم ذكر معنى ذلك صاحب المدهش وغيره وهذا الاقليم عند الحكماء كريم البقعة طيب التربة مخصب البقعة كثير العيون والانهار قليل الهوام ذوات السُمُوم معتدل الهواء في الفصول الاربعة على قدر متقارب من الاعتدال متوسط في اكثر الزمان تتصل فوائده وفواكهه في كل الازمنة واما حكم ارضه فقال ابو الحسن القابسي في شرح موطا مالك رحمه الله من كتاب الجهاد اختلف الناس في ارض المغرب هل افتتحت عنوة او صلحا او مختلطة على ثلاثة اقوال الاول الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك أنها افتتحت عنوة بالسيف لانه جعل في المعادن النظر للامام ولو صح ذلك لم يجز لاحد بيعُ شيء منها كارض مصر وطنجة لانها افتتحت بالسيف الثاني قيل صلحا صالح عليها اهلها فان كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض الثالث قيل انها مختلطة هرب بعضهم من بعض وتركوها فمن بقي بيده شيء كان له وهو الصحيح والله اعلم وقال الداودي في كتاب الاصول له يمرّ بسْطُ كلام في ذلك اما الذي يُوجِبه النظر فيها ان تجريَ على ما توالت عليه القرون الماضية في اخرها وتُقَرّر في ايدي مالكها الا ما تدارت فيه الاخبار انه اغتصب او جلى عنه اهلُهُ قال التادلي الحافظ ان ارض المغرب اسلم عليها اهلها ويحكى ان احد عمال المنصور بن ابي عامر حين

تغلب على ارض باس فال لهم أخبروني على ارضكم أصلح هي ام عنوة بفالوا لا جواب عندنا حتى يَأتيَ الفقيه يعنون ابا جيدة بـن احمد بجاء ابو جيدة بساله بفـال لَيْسَتْ بصلح ولا عنـوة انما اسلم عليهـا اهلها بفـال لهم خلصكم الرجل وابو جيدة هو المدبون خارج باب بني مسابر احد ابواب باس والدعاء عند فبره مستجاب وله نفـع الله به كرامات من اراد الوفـوف عليها بليطالـع كتاب المستفاد بي ذكـر الصالحين من بـاس والعباد الـذى الفه ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي المعروب بالكتاني

نـزول البربـر بالمغـرب

واما سبب نزول البربـر بارض المغرب من ارض بلسطين بان ملكها جالـوت لمـا فتله داوود عليـه السـلام جلـب البربـر بـارض المغـرب فتفرفـت في تلـك البـلاد مـن موضـع الفيـروان الى ساحـل البحـر الاندلسي وكانت هـذه البـلاد فبـل البربـر للروم بجلـت الروم فدامهـم الى سفليـة وهي جزيـرة عظيمـة بي البحـر تحـاذي بـلاد إبريفيـة ثـم رجع الابارفة من الروم الى مدائنهم على صلـح مـن البربر اذ كرهت البربـر نزول المدائن بنزلوا بي الجبال والرمال والوهاد لكونهم اصحاب ابل و بفر وغنم وسكان بيوت ادم وشعر بعادت المدن رومية والجبال والصحارى بربرية وهـم يومئذ على اديـان مختلفة ثم بعـد بعـث النبي صلى الله عليه وسلم وخلافـة الخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم وصدر دولة بني امية وِلَّى بزيد بن معاوية عفبة بن نابع الفهري على بلاد المغرب بي سنـة اثنتين وستيـن من الهجرة واستفتح بعضه الى ان بلغ البحر الاعظـم

حيث ماسة وادخل فيه قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام فقال له أصحابه على من تسلم يا ولي الله فقال لهم ان قوم يونس عليه السلام سلموا عليّ وسلمتُ عليهم ولولا البحر لأريتكم اياهم واسلم اذ ذاك على يده بعض من بالمغرب وحين رجع منه ارتدّ بعض من أسلم ثم ولى الوليد بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم موسى بن نصير على المغرب ايضا في سنة اثنتين وتسعين وصار فيه حتى بلغ سبتة وطنجة وجاز منه لبر الاندلس وَافتتحه مع مولاه طارق بن زياد وأسلم على يده ايضا بعض من بالمغرب حتى لم يبق منه موضع الا وَعبِد الله تعالى فيه بسبب قدوم ولي الله الصالح ادريس بن عبد الله (الكامل) بن حسن (المثنى) ابن حسن (السبط) بن علي بن ابي طالب رضى الله عنه وكان سبب قدومه من المشرق الى المغرب على ما حكاه محمد بن جرير الطبري وغيره ان اسحاق بن عيسى الامير بالمدينة وفد على الخليفة موسى الهادي بن ابي جعفر المنصور واستخلف عليها عُمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فظهر منه مخالفة في احكامه فغير عليه ذلك حسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وربض الناس إمرته واستدعوا حسينا للبيعة فجلس على المنبر وعليه عمامة بيضاء وصار الناس ياتونه يبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجاء خالد البربرى في مائتين من الجند يقاتل حسّينا فقاما اليه ابنا عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهما يحيى وادريس فضربه يحيى على إنف البيضة

وقطعها وقطع انفه فشربت عيناه بالدم فلم يبصر فنزل وجعل يده بسيفه عن نفسه وهو لا يبصر فاستدار ادريس من خلفه فضربه وصرعه وعلواه باسيافهما حتى قتلاه ثم قتل بالمدينة شيعة بني العباس وجاء مبارك التركي فاغاثهم ثم تركهم واقام حسين بالمدينة احد عشر يوما واصحابه فغدروه ولحق بمكة وكان وفد للحج تلك السنة محمد بن سليمان بن علي بن محمد بن عبد الله بن العباس والعباس بن محمد بن علي وموسى بن عيسى بن موسى بن العباس وعلى الموسم سليمان بن ابي جعفر المنصور فاتوا ذا طوى في اربعة آلاف فارس وقد ورد كتاب الهادي بتولية محمد بن سليمان الحرب فوجه محمدًا ابا كامل مولًى لاسماعيل بن علي فلما راى القوم صار معهم فظفر به فقتله ثم قاتل محمد بن سليمان حسينا فهزمه وقتله وقتل اكثر من كان معه واقاموا ثلاثة ايام حتى اكلت لحومهم الطير والسباع وكان ذلك بفخ وهو موضع فيه قرية على مسيرة ثلاثة اميال من مكة شرفها الله تعالى كذا ضبطها البكري في كتاب ما استعجم في حرف الفاء وتشديد الخاء المعجمة وكثير من لا خبرة له بالتاريخ يقول له بالجيم والتحقيق انه بالخاء المعجمة كما ذكر وكانت هذه الوقعة في يوم السبت وصادفت يوم التروية الثامن لشهر الحجة من سنة تسعة وستين ومائة وقال فيه احد الشعراء

(المتقارب)

فلأبكيَنّ على الحُسين — بِعَوْلَةٍ وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذى — تركوه ليس بذى كفن
تركوا بفخ غدوة — في غير منزلة الوطن

كانوا كراما فتلوا ... لا طائشين ولا جُبُن
غسلوا المَذَلّة عنهم ... غسل الثياب من الدرَن
هُدِى العِبَادُ بجدهم ... فلهم على الناس المِنَن

وحضرهُ بعد الوفاة محمد بن سليمان قاتل حسين فجعل جلساؤه يلقنونه الشهادة وهو يقول

الاليت امي لم تلدني ولم اكن ... لقيت بفخ لا حسينا ولا حسن

وفي هذه الواقعة افلت ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب على ما حكاه الطبري وصار مع مولاه راشد الى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن منصور فجعله على البريد الى المغرب فوقع بحومة بلاد طنجة ثم الى بلد وليلي قاعدة زرهون واستجاب له قبائل البربر وعلا أمره وشاع خبره وهذه البلدة قديمة البناء يذكرانها من بنيان القبط وهي معروفة الآن بقصر فرعون من ارض اولاد تعلو وهي متوسطة بين العمارات خصيبة كريمة المياه والغرس والزيتون كان لها سور عظيم قد بقي بعضه وفيه عبرة للمعتبرين ولما وصل مولانا ادريس الى بلد وليلي نزل على صاحبها الامير اسحاق بن محمد بن عبد الله الاوربي فاقبل عليه واكرمه وبالغ في بره وكان نزوله بوليلي في اول شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين ومائة فاقام عنده والناس يفدون عليه الى ان دخل شهر رمضان السنة فبايعه جميع قبائل البربر ولما تمت له البيعة وتمكن سلطانه وعلا شأنه اتخذ جيشا عظيما من قبائل البربر وخرج بهم الى تامسنا ففتح شلة وسائر تلك الحصون وصار الى تادلة فافتتح حصونه الى ان بلغ ماسة وكان اكثر هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية والاسلام بها قليل فأسلم جميعهم حتى لم يبق

بالمغرب موضع يعبد غير الله فيه وذلك مما اخبر الرسول به عليه الصلاة والسلام ان يكون فانه جاء في الصحيح انه قال زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها ولما نزل ادريس بخارج تلمسان وأتاه اميرها محمد بن خزر المغراوي وبايعه مع من هناك من القبائل ودخل تلمسان واستقلت له إمارة المغرب باسره اتصل ذلك بالرشيد وضاق واهتم لذلك وخشيَ ان يتوجه لافريقية فيصل اليه لما يعلم من فضله وكماله ومحبة الناس في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه الرشيد من يقتله واختار لذلك سليمان بن جرير فخرج اليه من بغداد حتى وصل المغرب وقدم الى ادريس بمدينة وليلي فسلم عليه سليمان وسأله ادريس عن اسمه ونسبه ومن اي بلاد قدم وما سبب قدومه الى المغرب فذكر له انه من بعض موالي ابيه وانه اتصل به خبره فاتاه برسم خدمته لاجل محبته وولايته لاهل البيت اذ لا يعدل بهم احد ولا يقاس بهم سواهم فأنس به ادريس وسكن الى قوله وسربه فكان ادريس لا يقعد ولا ياكل ولا يشرب الا معه ولم يزل يترقب الفُرصة ويعمل الحيلة في قتله فلم يجد لذلك سبيلا لموالاة مولاه راشيد الذي لا يزايله ولا يفارقه الى ان غاب رشيد ذلك يوما في بعض شؤنه فدخل عليه سليمان فوجده وحده فقال يا سيدي جُعِلتُ فداك اني جئت من المشرق بقارورة طيب لأتطيَّبَ بها ثم اني رايتُ ان الامام اولى بها فخذها لتتطيب بها فقد اثرتك بها على نفسي ثم اخرجها ووضعها بين يَدَيْ ادريس فاخذ ادريس القارورة ففتحها وشمها فلما رءاه سليمان فعل ذلك تحصل له مراده وتمت حيلته جعل يتسلل من المجلس وخرج كأنه يريد قضاء حاجته فصار الى منزله وركب فرسا له من سباق

الخيل كان فد اعده لذلك وخرج من وليلي يطلب النجاة وكانت الفارورة مسمومة فحين استنشق ادريس الطيب الذي بها صعد السم الى خياشمه وانتهى الى دماغه فغُشيَ عليه وسفط ميتا وذلك في منسلخ شهر ربيع الاخر من سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ايام دولته سنتين وثمانية اشهر انتهى ما حكاه البكري في مسالكه فال شاعر على ما حكاه المظفري

(الكامل)

أتظن يا إدريس انك مفلت	كيد الخليفة او يفيك فرار
ان السيوف اذا افتضاها سخطه	طالت تفصر دونها الاعمار
فليدركنك او تدلى ببلدة	لا يمتدى فيها فرار
ملك كان الموت يتبع أمره	فمتى يفول تطيعه الافدار

ودفن ادريس رضي الله عنه بخارج باب وليلي ولم يزل الناس يعتنون بزيارة فبره و يدعون الى الله في الحوائج فيستجاب لهم وظهر جسده بكفنه فى سنة ثمانيَ عشرة وسبعمائة وازدحم الناس عليه من سائر افطار المغرب حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك فبعث امير المسلمين ابو سعيد بن يعفوب بن عبد الحق تفبل الله اعماله بتعريفهم وتحسيم الفتن من اجل ذلك كذا وفعت عليه في امر سلطاني يفضى بذلك ولما توفى ادريس ترك جارية له مولّدة من بلاد البربر اسمها كنزة حاملا في السابع من اشهر حملها وحين دنا وضعها ولدت ولدا ذكرا اشبه الناس بابيه ادريس وذلك فى رجب من سنة خمس وسبعين ومائة وسمى باسم ابيه وافام راشد مولاه بامره وكفله إلى ان فطَن وشب فادبه احسن ادب وافراه الفرآن فحفظه وله من السن

ثمانية اعوام وعلمه السنة والفقه والشعر وامثال العرب وحكمها وسياستها ودرّبه على ركوب الخيل والرمي بالسهام ولما كمل له من السن احدى عشرة سنة او نحوها اخذ له مولاه راشد البيعة من سائر القبائل فبويع له بجامع مدينة وليلي في يوم الجمعة مهل شهر ربيع الاول من سنة ست وثمانين ومائة فقد بان له من هذا ان مدة بقية حمل امه به بعد وفاة والده ومدّة كفالة راشد له عشر سنين وعشرة اشهر وحين اخذت له البيعة صعد المنبر فخطب الناس في ذلك اليوم فكان مما قال الحمد لله احمده واستغفره واستعين به واتوكل عليه واعوذ بالله من شر نفسي ومن شر كل ذي شر واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى ال بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ايها الناس انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف فيه المحسنين الاجر وللسيئين الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا تمد الأعناق الى غيرنا فان الذي تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا ثم دعا الناس الى بيعته فبايعوه بل وعظهم على التمسك بطاعة الله وطاعته فعجب الناس من فصاحته وبيانه ورزانة عقله وبلاغته وبراعته ثم نزل فتسارع الناس الى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة واوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر وتمت له البيعة واستقام له الامر بالمغرب وتوطا ملكه وكبر سلطانه وقويت جنوده وعظمت جيوشه ومما يذكر هنا انه قال في حال قتاله لمن عانده

(الطويل)

اليـــس ابونـا هاشـم شـــد ازره　　واوصى بنيـه بالطعـان و بالضرب
فلسنـا نمـل الحرب حتـى تملنـا　　ولا نشتكي مما يَـؤُلُّ الى النصب
ولاكننا اهـل الحفائـظ والنهـى　　اذا طـار ارواح الكماة من الرعب

وفصدوا نحوه من كل مكان ووفدوا اليه من سائر البلدان وكان ممن وفد عليه نحو من خمسمائة فارس من افريقية والاندلس من القيسية والازد وخزرَج ومدلج وبني يحصب وغيرهم فسر الامام ادريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقرّبهم ورفعهم وجعلهم بطانته دون البربر فاعتزّ بهم لانه كان فريدا بين البربر ولمّا رأى الامام ادريس ان الامر استقام له وعظم ملكه وكثر حشمه وضافت بهم مدينة وليلي عزم على الانتقال منها واراد ان يبنيَ مدينة لنفسه فيسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه اهل دولته فركب بعد الاستخارة في خاصة من قومه وجال جملة من النواحي الى ان بلغ جبل زالغ فعزم ان يبني به مدينة عظيمة فظهر له ان الهدام تكثر فيه زمن الفيض فانتقل لوادي سبو وعزم ايضا ان يبني به المدينة فظهر ان السيول تصل اليهـا في زمن الفطر وما زال تردادة حيث يبني واستشار وزيره عمير بن مصعب الازدي ليرتاد له موضعا للمدينة فصار عمير في جماعة من قومه لينظر ما طلب فاخترق تلك النواحي الى ان نزل على عين ماء مُطَّرِدَة فتوضأ منها هو ومن كان معه وصلى بهم حولها ثم دعى الله تعالى ان يهون مطلبه وان يدله على موضع يرتضيه لعبادته فسميت العين به عين عمير الى الآن ثم ركب وتوجه نحو فحص سايس يطلب ما خرج اليه حتى وصل الى العيون التي ينبع منها نهر وادي فاس

وراى عيونا كثيرة تزيد على ستين عنصر اطَّرَدَ على رَضْراض حول العيون بعد ان شرب من الماء واستطابه ثم صار مع مسير الوادي حتى وصل الى موضع مدينة ڢاس ڢنظر الى ما بين العدوتين وراى غيضة ملتفة الاشجار. مطردة العيون والانهار. وڢي مواضع منها خيام من شجر يسكنها ڨبيلة من زناتة يعرڢون بزواغة وبني يرعس ڢرجع عمير الى الامام ادريس واعلمه بما راى من الارض وما استحسنه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحّتها ڢاعجب الامام ادريس من ذلك وسال عن مُلّاك الارض ڢقيل له هم ڨوم من زواغة يعرڢون ببني الخير ڢقال الامام ادريس هذا ڢال حسن ثم بعث اليهم واشترى منهم موضع الارض بستة الاڢ درهم ودڢع لهم الثمن وانعقد الاشهاد بينهم بذلك ڢي رسم من انشاء كاتبه ابي الحسين عبد الله ابن مالك المالكي الانصاري المخزومي وذلك ڢي سنة احدي وتسعين ومائة ثم ان الامام ادريس ضرب اخبيته وڨبابه بالموضع المعروڢ بجرواوة من عدوة الاندلس ودوّر عليه جرواوة من الخشب ڢسمى الموضع جرواوة الى زمننا هذا ثم انتقل بعد ذلك الى الموضع المعروڢ بالمرمدة من عدوة القرويين حيث دار القيطون المتصلة لمسجد الشرڢاء ثم شرع ڢي البناء حسبما يذكر بعد كذا ذكره ابن الرقيق وغيره ومن ڢضل هذه المدينة وشرڢها ما نقله خلڢهم عن سلڢهم انه وجد ڢي كتاب دراس بن اسماعيل المكنى بابي ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى حدثني علي بن ابي مطر بالاسكندرية قال حدثني محمد بن ابراهيم المواز[1] عن عبد الرحمان بن القاسم عن مالك

---

(1) Mst = بن مواز .

ابن انس عن محمد بن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيّب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فال تكون بالمغرب مدينة تسمى بفاس أفوَمْ اهل المغرب فبلة واكثرهم صلاة واهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لا يزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهونه الى يوم الفيامة وان ابي مطرهوابو الحسن علي بن عبد الله بن ابي مطر من اولاد ابي موسى الاشعريّ وكان مجاب الدعاء توفي بالاسكندرية سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة كذا نفل صاحب المدارك ودراس[1] رحمه الله ممن ادخل مذهب مالك رضي الله عنه بلاد المغرب فانه كان الغالب عليه في الفديم على مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد وابن اشرس واحمد ابن بهلول بن راشد وبعدهم فرات[2] وغيرهم من الحافظين لمذهب مالك فاخذ كثير من الناس به فلم يزل ينتشر ويظهرُ الى ان جاء سحنون فعظ خلق المخالفين واستفر المذهب بعده في اصحابه فشاع في افطار المغرب الى زمننا هذا واما اهل الاندلس فكان رايهم منذ أُفتتحت على راي الاوزاعي الى ان رحل الى مالك زيادُ بن عبد الرحمان وفرعوس بن العباس ومَن بعدهما فجاءوا بعلم مالك وابانوا للناس من فضله وإفتداء الائمة به فعُرِف حقُه ودُرِس مذهبه الى ان اخذ به أمير الاندلس وهو هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وامر الناسَ جميعًا بالتزامهم مذهب مالك وصيّر الفضاء والفتيا عليه وذلك في العشرة بعد السبعين ومائة في حياة مالك رحمه الله وشيخ المفتيين حينيذ صعصعة بن سلام امام الاوزاعية وفد

(1) Tout ce qui suit, à partir de ودراس, est textuellement copié par Ibn el-Kâdi (*Djadwat*, p. 121 à 123) sous la biographie de Darrâs.

(2) Mst = ابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم احمد بن الفرات .

لحق به من اصحاب مالك غيره فالتزم الناس بهذا المذهب وحملوا بالسيف عن غيره جملة وأدخل فيها قوم الراحلين والغرباء شيئا من مذاهب الامام الشافعي وابي حنيفة وأحمد وداود فلم يمكنوا من نشره فمات بموتهم الا من تدين به في نفسه ممن لا يُؤبَهُ بقوله وعلى ذلك مضىٰ الاندلسيون إلى وقتنا هذا وسمّي درّاس لكثرة درسه العلم اصله من مدينة فاس سمع من شيوخ بلده وبافريقية من ابي بكر بن اللباد وغيره (1) وبالاندلس من شيوخها وله رحلة حج فيها وسمع من علي بن ابي مطر بالاسكندرية كتاب ابن المواز وحدث به بالقيروان سمعه منه ابو محمد بن ابي زيد وابو الحسن القابسي ودخل الاندلس مجاهدا وطال بها فسمع منه ابو الفرج عبدوس بن خلف وخلف بن ابي جعفر وكان رحمه الله من الحفاظ المعدودين من اهل الفضل والدين ممن له الامانة بمذهب مالك واصحابه توفي بفاس سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وقبره بخارج باب الجيزيين معروف والدعاء عنده مستجاب وله بفاس مسجد يعرف به وقد جدد قبره الامير ابو عنان رحمه الله وجعل هنالك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ وفاته ونصبت عند راسه في سنة اربع وخمسين وسبعمائة وأخبر ابن التبّان ان رجلا من اهل المغرب قال له سنة سبع وخمسين وثلاثمائة نُمْتُ بالرمادة فرايت السماء والارض تبكيان فقلت ما هذا فقيل لي مات ابو ميمونة دراس بن اسماعيل فكان كذلك وكان كثيرا ما ينشد

(الطويل)

غفلتُ وحادي الموت في اثري يحدو   وليسَ معي زادُ وفي سَفَري بُعْدُ

(1) *Djadwat* (éd. p. 122) qui a plagié tout ceci remplace وسمع par وغيره و منه et il continue par le passage qui se trouve ci-dessous après les mots وطال بها

أنعِـمُ جسمي باللبـاس ولينـه وليس لجسمي من فميص البلا بـدُّ
كأني به فد مُدَّ في برزخ البلا ومن بوفه ردم ومن تحته لحدُ
وفد ذهبَت مني المحاسنُ وآمتحَتْ ولم يبق بوق العظم لحمٌ ولا جلدُ
بكيف إذا يارب بالنار فُربَت ونارك لا يفوى لها الحجر الصَّلدُ
عسى غافر الزَّلات يغفر زلّتي بفد يغفر المولى اذا اذنب العبدُ (1)

نفل اكثر هذا الفصل من المدارك وغيره ومن اراد الوفوف على اكثر من هذا فليطالع كتابي المستفاد في مناقب العباد ولنرجع إلى ما نحن بصدده ولما عزم الامام ادريس على بناء مدينة فاس بعد ان اخبر بتربتها وهوائها ورياحها ومائها وتحفق بعدها من الصحراء والبحار والجبال الشامخة والسباخ العافمة وعلم ان ذلك مما يليق بمسكنها رفع يده الى السماء ودعا الله وفال اللهم أجعلها دار علم وفِفه يتلى بها كتابك وتفام بها سننك وحدودك وأجعل اهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما ابفيتها ثم فال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعافبة للمتفين ثم اخذ المعول بيده وابتدأ بحفر الاساس وأتبعه الفعلة في ذلك فلم تزل دار العلم وافامة السنة ببركته وبركة دعائه رضي الله عنه وذكر ابن غالب في تاريخه ان الامام إدريس حين عزم على بناء فاس واختطاطها مر به شيخ كبير من الرهابين كان مترهبا في صومعة فريبة من تلك الجهات فوفف للامام إدريس وسلم عليه ثم فال له ايها الامير ما تريد ان تصنع بين هذين الجبلين فال اريد ان اختط بينهما مدينة لسكناي وسكنى ولدي من بعدي يعبد الله

(1) Cprz ces six vers à *Djadwat* (éd. p. 122) qui en donne sept.

تعالى بها ويُتلى فيها كتابهُ وتقام بها حدودهُ فقال له ايها الامير إن لك عندى في ذلك بشرى قال وما هي ايها الراهب قال إنه أخبرني راهب كان قبلي في هذه الديار هلك منذ مئة سنة انه يجددها ويحيي اثرها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النُبوءة يسمى إدريس ولها شان عظيم وقدر جسيم لا يزال دين الاسلام قائما بها إلى يوم القيامة فقال الامام إدريس الحمد لله انا ادريس وانا من آل النبوءة وانا بانيها ان شاء الله تعالى فكان ذلك مما قوى عزم إدريس على بنائها ويدل على ذلك والله اعلم ما رواه البرنسي ان رجلا من اليهود احتفر اساس دار من قنطرة عزيلة من المدينة المذكورة والموضع يومئذ شعراء بالطخش والبلوط وغير ذلك فوجد في الاساس قطعة رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالخط الهندي هذا موضع حمام عمر الف سنة ثم خرب فاقيم موضعه بيعة العبادة فقيل أن الامام إدريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة فصنع له فاس من ذهب وفضة فكان الامام إدريس يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به الاساسات للفعلة فكثر ذلك على السنتهم في طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفاس خذوا الفاس احفروا بالفاس فسميت مدينة فاس لاجل ذلك قاله صاحب الاستبصار وهذا والله اعلم لا يصح لان الامام إدريس رضي الله عنه لا يجهل ان استعمال الذهب محرم على رجال بل يقال انه لما شرع في حفر آساسها من جهة القبلة وجد في الحفير فاس كبير طوله اربعة اشبار وسعته شبر واحد وزنته ستون رتلا من عمل الاوائل فسميت المدينة به واضيفت اليه نقل معناها المظفري وقال لانه لما تمت بالبناء قيل للامام إدريس كيف تسميها قال أسميها باسم المدينة التي كانت قبلها

في موضعها الذي اخبرني الراهب انه كانت هنا مدينة ازلية من بناء الاوائل فخربت من الاسلام بالف عام وكان اسمها مدينة ساف ولاكني افلب إسمها الاول لاسميها به فجاء به فاس كذا نقله ابو الحسن بن عبد الله بن ابي زرع في كتابه المسمى بالانيس وكان تاسيس مدينة فاس على ما ذكر المورخون الذين عنوا بتاريخها وبحثوا عن امورها واحداثها على نحو ما يذكر اما عدوة الاندلس فانها اسست في يوم الخميس مهل شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائة افام الامام إدريس منها بالموضع المعروف بجرواوة حيث نزل باخبيته وقبابه وابتدأ سورها من جهة القبلة وفتح هناك بابا سماه باب القبلة ثم مر بالسور المعروف بالجرواوة وموضع زيتون ابن عطية وفتح هناك بابا سماه باب جرواوة ثم مر بالسور على الموضع المعروف بالمخفية إلى الوادي الكبير إلى برزخ وفتح هناك بابا سماه بباب المخفية كان يقابل باب الفرج من عدوة الفرويين ثم مر بالسور الى الشيبوبة وفتح هناك بابا سماه باب الشيبوبة كان يقابل باب القصيل المعروف الآن بباب النقبة من عدوة الفرويين ثم مر بالسور الى راس مجر الفرح وفتح هناك بابا سماه باب ابي سفين ثم مر بالسور على جرواوة وفتح هناك بابا سماه باب الكنيسة يعرف الآن بباب الخوخة ويخارجه كان يسكن المرضى لتكون روايحهم تحت الريح الغربية فانها الغالبة لفاس وليكون تصرفهم من الماء بعد خروجه من البلد ولا يصل من ضررهم شيء للمدينة ثم انتقلوا من الموضع المذكور لكهوف باب الشريعة الذي باعلى المدينة في زمن المجاعة وكانوا يتصرفونها فأمر بنقلهم لكهف بظاهر برج الكوكب وهو الذي فيه سكناهم الآن ثم مر بالسور إلى ان وصل باب القبلة المذكور وقد استدار بها السور وبنى

بها جامعا للخطبة بقرب رحبة البئر ويعرف بجامع الاشياخ واما عدوة القرويين فانها اسست في مهل ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين ومائة اقام بها بالموضع المعروف بالفرمدة ويعرف الآن بدار القيطون وبقرب مسجد الشرفاء حيث سكنى حفدة الامام إدريس نفعنا الله بهم وحشرنا في زمرتهم وابتدأ اسوارها من راس عقبة عين علو وفتح هناك بابا سماه باب افريقية وبه يعرف الآن وجدده ووسعه الامير المستعين في شهر شوال سنة ستين وسبعمائة وكان حول العين هناك غيضة عظيمة يقطع فيها الطريق عبد أسود اسمه علو فرجع ذلك للامام إدريس وثبت عليه فأمر بصلبه على شجرة هناك إلى ان تقطعات أشلاؤه فسميت العين باسمه ثم مر بالسور الى عين دردور إلى عقبة الصعتر وفتح هناك بابا سماه بباب الفصيل وهو الذي ذكرنا يقال له باب النقبة ثم مر بالسور من ضفة الوادي وفتح هناك بابا سماه باب الفرج ويعرف الأن بباب السلسلة ثم مر بالسور الى عيون ابن الصادي المعروفة الآن بعيون الكرازين ثم فتح هناك بابا سماه باب الحديد ثم مر بالسور لاعلى عقبة الجرف وفتح هناك بابا سماه باب القلعة ثم مر بالسور حتى وصل به باب افريقية المذكور وقد استدار بها السور ثم بنى جامعا للخطبة متصلا بمنزله وهو المعروف الآن بمسجد الشرفاء ولم يزل على نحو ما بناه الامام إدريس بن إدريس الى ان اعتلت سقفه وتخلفت اجداره وتداعى إلى السقوط فانتدب لبنائه من ابتغى الاجر من الله تعالى من اصهار الشرفاء الساكنين هناك واقامه على ما هو عليه الآن وذلك في سنة ثمانية وسبعمائة وكان في اثناء ذلك امر الناس ببناء الدور والغرس ونادى فيهم ان كل من بنى موضعا او اغترسه قبل تمام بناء السور فهو له هبة لله تبارك

وتعالى فيظهر من هذا والله اعلم ان من بنى او اغترسه بعد تمام السور انما يكون باستيجار الارض وهو سبب الجزاء في بعض جهاتها وقد بحث بعض عمال فاس لِمَ كانت دار بالجزاء و بارائها دار حرة لا جزاء عليها فصح عنده ان بعض المواضع يكون بها الدور والاجنات والفنادق وغير ذلك ثم ينجلي أو يموت اهلها ولا وارث لهم فيرجع ذلك لنظر العامل في الجزاء فيجزيه ويستخلص بوجه صحيح ثم يخرب أيضا فيجزيه العامل كذا ذكر اشياخنا الفدماء ولما فرغ الامام إدريس من بناء اسوار المدينة وجامع خطبتها أنزل القبائل الوافدين عليه من الاندلس بالعدوة الشرقية منها فسميت لذلك عدوة الاندلس ونزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها فسميت لذلك عدوه القرويين ثم امرهم بزيادة البناء والغرس فبنى الناس الدور والمساجد والحوانيت وغرسوا جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس الى مصبه في نهر سبو بأنواع الاشجار وحرثت سائر نواحيه بانواع الزراعات فعمرت الارض بالغراسة والحراثة وظهر صلاح ذلك والانتفاع بغلاته في سائر الارفات وكثرت الخيرات و زادت العمارات وفصدها الناس على اختلافهم من جميع البلاد والاصقاع وسكنها الفقهاء والعلماء والتجار والصناع ولما سكنت مدينته واستقامت رعيته وحضرته الجمعة صعد المنبر فخطب الناس ثم رفع يديه في أخر خطبته وفال اللهم إنك تعلم أني ما ادرت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وانما اردت ان تعبد فيها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقى من الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه واكفهم مؤنة اعدائهم وادر عليهم الارزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شيء قدير

فأمن الناس على دوعائه فكثرت بالمدينة الخيرات وظهرت البركات وأقام الامام إدريس ساكنا بها إلى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج إلى غزو من بقي من الكفار بنفيس وبلاد المصامدة فوصل اليها ودخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع إلى مدينة فاس فاقام بها الى شهر محرم من سنة تسع وتسعين ومائة فخرج منها الى غزو تلمسان لتكون الكلمة واحدة في اعزاز الدين فغلب عليها وافتتحها ونظر في احوالها واصلح أسوارها وجامعها الذي باقادير وصنع فيه منبرا وكتب اسمه عليه كذا نقله ابن غالب وصاحب الانيس وقال عبد الملك الوراق في مقباسه دخلت جامع تلمسان في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فرايت في رأس منبرها الواحا من بقية المنبر القديم قد سمرت هناك وعليها مكتوب هذا ما أمر به الامام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة ثم رجع الامام إدريس الى مدينة فاس فلم يزل بها الى ان توفي رحمه الله في أول شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وثمانية اشهر فكان ايام كفالته وبقية حمله عشر سنين وعشرة اشهر وايام امارته سبعا وعشرين سنة ويذكر أنه دفن بمسجد الشرفاء بازاء الحائط الشرقي منه وقد انشد بعض الشعراء في ذلك .

(الطويل)

منازل أهل الله آل رسوله ... فاحبب بهم اهلا واحبب بهم مغني
مدينة إدريس بن إدريس التي ... بها قبره نار وقبره مبني

وكان سبب وباته على ما ذكر البكري أنه أكل عنبا بشرق بحبة بمات من حينه رحمه الله وخلب من الولد على ما ذكره ابن حزم بي جمهرته ثلاث عشر ذكرا إدريس وأحمد وعبد الله ويحيى والحسن والحسين وداوود ومحمد وعيسى وعمر وجعبر والفاسم وفيل حمزة وفيل اكثر من ذلك بولى بعده منهم محمد وهو اكبرهم ومما فيل بي محاسن باس

البسيط

يا باس منك جميع الحسن مسترق   والساكنون أهنيهم [1] لفد رزفوا
هـذا نسيمك ام روح لراحتنـا   وماؤك السلسل الصابي ام الورف
ارض تخللهـا الانهـار داخلهـا   حتى المجالس والاسواف والطرف

وفال أخر

(الكامل)

بلـد اعرتـه الحمامة طوفها   وكساه حلة ريشه الطاووس
بكأنها الانهـار بيـه مدامـة   وكأن ساحات الديار كووس [2]

وللبفيه أبي عبد الله المغيلي بي وصب باس وهو يتشوف اليها حين ولى الفضاء وهو بمدينة ازمور

(الكامل)

يا باس حيّى الله أرضك من ثرى   وسفاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي أربـتِ على   حمـص بمنظرها البهي الاجمـل

(1) Mst = تهنيهم ; *Qirṭâs* (éd. 18) = يهنيهم ; *El-Azhâr el-'âṭira* (p. 154 = أهنيهم).

(2) Cpr. El-Maqqari, t. I, p. 104.

غرف على شرف وتجري تحتها ... ماء الذهب من الرحيق السلسل
بساتين من سندس قد زخرفت ... بجداول كالايم او كالقصيل
وبجامع القروي شرف ذكره ... أنس تذكره يهيم تبلبل
وبصحنه زمن المصيف محاسن ... فمع العشى الغرب فيه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنا به ... واكرم بها عني قديتك وانهل

وقال أخر

(البسيط)

يا عدوة القرويين التي كرمت ... لا زال جانبك المحبور معمورا
ولا سلب الله عليها ثوب نعمة ... أرض تجنبت للاثام والزورا

وقال أخر

(الطويل)

أليس لها على البلدان فضل ... عظيم القدر ليس له عنيد
اليس ترى عباد الله طرا ... وكلهم لمالكها عبيد

وقالت الحكماء لا تستوطن الا بلدة فيها سلطان قاهر وطبيب ماهر ونهر جار وقاضٍ عدل وسوق قائم وقالت الحكماء ايضا احسن موضوعات المدن ان تجمع خمسة اشياء وهي النهر الجاري والمحرث الطيب والحطب القريب والسور الحصين والسلطان القاهر اذ به نجاح ما لها وتأمن سبلها وقد جمعت فاس هذه الخصال التي هي كمال المدن وشرفها وزادت عليها محاسن كثيرة وسأسرد منها نبذا فمنها نهرها المعروف بنهر الجواهر الذي باعلاها بنحو ستة اميال وهو يخرج من نحو ستين عنصر أحدها ينبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة الغرب مسامتة لمشرق الشمس وله منظر عجيب لصفائه وانهماره على

الرضاض فيجتمع ما يخـرج من تلـك العناصـر من الميـاه فيصير نهرا كبيرا يجري في بسيط من الارض يكاد لا يتبين جـري الماء فيه لاستواء أرضـه إلى ان ينحدر الى البلد فينقسم في داخلها على جداول كثيرة فيشق اكثر جهاتها وينشعب في داخلها فينتفـع به في مساجدهـا وسقاياتها ودورها وارحائهـا وحماماتها وسقي جناتها ثم يخـرج منها وقد حمل اثقالهـا وسائر فضلاتها وليس لهذا النهر نظير لصفائه وعذوبة مائه وصفتـه وبرودة عيونه في زمن الصيف وسخانتها في زمن الشتاء وهو يسخن سريعا يبرد سريعـا وينهضـم سريعا وهذه اصفات محدودة عند الاطباء ويخرج منه الصدف الثمين الذي يقوم الجوهر ولهذا سمي نهر الجواهر ومن منافعه انه يفتت الحصى التي في المثانة ويذهب الصئبان مـن الراس والقمـل من الجسـد لمن اغتسـل به وداوم على شربـه ويغسـل به الثياب دون صابـون فيبيضها ويكسـوهـا نقاوة ورايحة طيبـة وتوجد فيه السراطين المستعملة في الادوية وليست توجد في غيره الا نادرا ويخرج منها انواع الحـوت مثل اللبيـن والبوري والسلبـاح والبوقـة ذلـك كله حوت لذيذ المطعم كثيـر المنفعة ومنهـا ان منها ماء العيون والابار والانهار فمياه العيون عذبة صافيـة باردة في الصيـف سخونـة في الشتاء حين يراد ذلـك منها ومياه الانهار بعكسها سخنة في الصيف باردة في الشتاء فلا يزال الماء السخن والبارد موجوديـن في كل زمـان وذلـك مما يعين على التطهيـر والتنظيف ومنها قرب المعـادن كالملاحة التي عليها من مدشـر الساطبي الى وادي مكس وبينهما من المسافة ثمانية عشـر ميلا ومن العجائـب في هـذه الملاحة انها تحرث كلها بالزرع فتجد الفرادين في وسط الملح بخضرة ناعمـة تتمايل خاماتها فضلا من الله ونعمة وكمعدن الجص والصلصـال وانواع الحجارة

والرمال وذلك على اختلاف انواعه فتصير يصرفه الناس في منافعهم ومنهـا خشب الارز المجلوب لها من جبال بني يزغة وهي بنحو الثلاثين ميلا عنها يصل منه كل يوم احمال كثيرة فلا يعدم فيها بوجه وقد يعمر العود منه في الموضع الذي لا يناله الماء الف سنة وازيد ولا يعبر ولا يستاس ومنها الحطب الكثير الذي يدخلها من جميع جهاتها كجبل بني بهلول فانه يصبح كل يوم من احمال البلوط وفحمه ما لا يوصف كثرة ومنها المحرث العظيم الذي بافطارها سفيا و بعلا وكثرة المجاشر ما ليس على مدينة من مدن المغرب ومنها بُعْدُها من اطراف الارض التي تخاف فيها الفتن والغارات ومنها اختصاصها بجميع الفواكه واصنافها وانواع الخضر والبقول على اختلافها وسائر نوار الارض وازهارها حتى لا يفقد شيء من ذلك لمن طلبه منها ومنها انه لا يعدم بها ولا بنواحيها صيد سوى كان سانحا او طائرا او دارجا ومنها قرب العيون السخنة كحمة خولان وحمة وشتانة وحمة أبي يعقوب فان فيها موفقا للاستحمام والتداوي وقد اعتنى أمير المسلمين ابو الحسن ببناء حمة خولان على وجه محكم لتتم به مصالح الناس ومنافعهم ومنها ان حرها و بردها ليس بشديد جدا وقد اعتدل فيها الفصلان في اوقاتهما فيكون دخول الخريف إلى الشتاء غير متباين الهواء وكذلك كل فصل ينقل من هواء الى هواء من زمن الى زمن بالتدريج فلذلك لها اعتدال الهواء في أرضها وطاب الثرى وعذب الماء و زكت الاشجار وطابت الثمار واخصبت الزروع وكثرت الخيرات وحسنت اخلاق اهلها ونضرت وجوههم وابدانهم وانفتنت اذهانهم وقل مـا يخالف بعضهم بعضا في الحلقة والسور والجمال والتنظيف حتى فضلوا على غيرهم في العلوم والصناعات والمعرفة بانواع التجارات ومنها ان أهلها في

العادة اقل خلاف على أمرائهم واكثر طاعة لحكامهم وولاتهم ومنها قربها من وادي سبو الذي تسيل منه جميع القوارب والسفن الصغار الى البحر الاعظم وتطلع منه الى ملتقى واديها وقد كانت دار صنعة لانشاء القوارب والسفن الصغار وغيرها بالموضع المعروف بالحبالات من ارض بني عبودة التي بقرب ملتقى وادي فاس في ايام الخليفة عبد المومن الموحدي حين اراد ان يتوجه لفتح المهدية سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كذا وجد بخط الفقيه ابي عبد الله محمد بن القاضي احمد بن ميمون الفشتالي وكذا امر أمير المومنين ابوعنان بانشاء جفنتين اثنتين بمنزل خولان احداهما شيطي يجر مائة وعشرين مجاربا والثاني شلير يجر ستين مجاربا ودفعا بوادي سبو الى ان وصلا الى معمورة سلا سنة ست وخمسين وسبعمائة كل ذلك على يد ثقته ابي عثمان سعيد بن خزر وقد جلب لمولانا أمير المسلمين ابي الحسن رحمه الله من المرية بيلة من الرخام الابيض زنتها مائة قنطار وثلاثة واربعون قنطارا وسيقت من المرية بالاندلس الى بلد العرائش الى ان طلعت بوادي قصر عبد الكريم وجعلت منه على عجلة خشب تجرها القبائل والرؤساء الى ان وصلت الى منزل اولاد مخربة الذين على ضفة سبو الوادي المذكور ووسقت فيه ايضا الى ان وصلت الى ملتقى وادي فاس وحملت منه على عجل الخشب ايضا يجرها الناس الى ان وصلت الى مدرسة الصهريج التي بعدوة الاندلس ثم نقلت منها بعد ذلك باعوام الى المدرسة التي أمر ببنائها ازاء القرويين وهي التي بوسط صحنها الآن وكان جلبها من المرية سنة خمس وعشرين وسبعمائة فان قيل كيف يتوصل الى وزنها فاعلم ان الذين جلبوها لما ارادوا تفريغها علم على الماء في الجفن الذي وسقت فيه

ثم فرغت منه ونحن فيه فناطر من الرمل بالوزن شيئا فشيئا الى ان بلغ الماء حد ما علم اولا في فاربها ثم فرغ الرمل فعلم بذلك وزنها كذا ذكر بعض الشهود الذين حضروا على ذلك ويذكر أنهم كتبوا رسما بذلك وطولع به أمير المومنين ابو الحسن رحمه الله وكذلك فعل بابواب المهدية التي صنعت من حديد في ايام عبيد الله التي زنة كل واحدة منها الف فنطار على ما ذكر البكري وكان الاميرابو الحسن يدفع الاحمال الكثيرة من خشب الارز من منزل خولان الى معمورة سلا على صفة يعملها البحريون ونهر سبو ينبعث عن عنصر في مغارة مهولة في شعراء عافطة ببلاد فازاز الى ان يمر على بلاد وارثين وهذه العين لا يدرك لها فعر وللبربر المجاورين لها تجاريب فيها منها ان المريض اذا ارادوا ان يعلموا هل يبرأ او يموت حملوه لراس العين للموضع المهول فيغطسونه فيه حتى يفرب ان يصفر ثم يخرجونه فان خرج على فيه دم يستبشرون بحياته وان لم يخرج من فيه دم أيفنوا بهلاكه وهذا عندهم متصادق لا ينكر فاله صاحب الاستبصار في عجائب الامصار وهذا لا يفعله الا جاهل وان فعله احد باحد فمات فانه يفتص منه وما سوى ذلك من فصول هذا الباب فد يدرك بالمشاهدة والتجربة وتصيد من وادي سبو هذا الشابل الكبير وهو يطلع من معمورة سلا إلى رأس عين سبو وتصيد منه الحوت الكبير الذى يعرف بالفرب(1) يكون في زنة الواحدة منه فنطار وازيد ويوجد فيه ايضا الحوت المعروف بالشولي تصنع منه الالوان

---

(1) Mst = بالعرب ; الفـرب est donné par *Djadwat* (page 25) qui a plagié notre auteur pour ce passage.

بأنواع البفل (1) ولا تشم له رايحة السمك ومنها ميل الناس لسكناها ومنذ سكناها وهي مملوءة باصناف الناس واهل الكور والامصار وانتفل اليها من جميع البلدان الفاصية والدانية فليس من اهل بلد ولا افليم الا ولهم بها متجر ومنزل وصناعة وتصرف واجتمع فيها ما ليس بمدينة من مدن الدنيا واتتها التجارات واهل الصناعات من كل صفع حتى تكامل بها كل متجر وسيفت اليها خيرات الارض وجمعت فيها دخائر الدنيا وتكاملت فيها بركات العالم ففد صار سكناها لاجل ذلك لا عالم املح من عالمهم ولا رواية اثبت من روايتهم ولا متكلم أجزل من متكلمهم ولا فارىء اتفى من فارئهم ولا طبيب امهر من طبيبهم ولا كاتب اضبط من كاتبهم ولا خطيب ابرع من خطيبهم ولا واعظ أوعظ من واعظهم ولا شاعر احدق من شاعرهم ولا صانع اصدق من صانعهم ولا فوال اطرب من مغنيهم

---

(1) Mst = النفل.

الباب الثاني

الباب الثاني في ذكر من ادارها (فاس) بالاسوار وذكر جوامعها وما انتهت اليه من الدور والحمامات وما جاء في الثناء عليها وعلى ساكنها من العلماء المرضيين قال لم تزل مدينة فاس كلاها الله تعالى من حين اسست دار فقه وعلم وصلاح ودين وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها وهي كانت دار الادارسة الحسنيين الذين اختطوها ودار مملكة زناتة وغيرهم من ملوك المغرب في الاسلام ونزلها لمتونة في اول ظهورهم على المغرب ثم بنوا مدينة مراكش فانتقلوا اليها لقرب بلاد الصحراء ثم اتوا الموحدون بعدهم واتخذوها دار ملكهم لقربها من بلادهم ولكونها في جوارهم وبين قبائلهم كما قاله صاحب المقباس وغيره وما زال الامراء والملوك في اثناء ذلك يزيدون البناء بفاس الى ان صار الناس يبنون بارباض المدينتين واتصلت العمارات من كل جهة الى انقراض ايام زناتة فاراد منهم دوناس ابن حمامة بن المعزبن عطية بن زيد الاسوار على جميع ارباضها من كل جهة وبنى بها المساجد والفنادق والحمامات وغير ذلك وصارت مدينة واحدة الى ان ولى بعده ابناه الفتوح وعجيسة فحصّ الفتوح عدوة الاندلس وبنى بها قصبة لسكناه بالموضع المعروف بالكدان وفتح بابا في العدوة سماه باسمه وحص ايضا عجيسة عدوة القرويين وبنى بها قصبة لسكناه بعقبة الصعتر وفتح هناك بابا سماه باسمه وكانت بين الاخوين عداوة وصار القتال بينهما وكان القتال

بينهما في الموضع المعروف بكهف الوفادين وكثر العرج بسبب ذلك في ارض المغرب واشتدّ الغلا الى ان ظهر لمتونة باطراف المغرب وظهر الفتوح باخيه عجيسة فقتله ولما ظهر به كره ان يبقى الباب فامر بتغيير ذلك وترك اضافتها اليه فاسقط الناس حرف العين من عجيسة وادخلوا عوضا عنها الالف واللام فقالوا باب الجيسة وبقى ذلك الى الان وبعد ان ظهر باخيه اتاه لمتونة فنزلوا عليه وحاصروه وتخلى عن المدينة ووليها معنصر بن عمه (1) إلى ان دخلوها لمتونة وقتلوا زناتة وفي ايام لمتونة هدمت الاسوار التي باعلى الوادي الكبير بقرب حوض السفرجل والسور الذى اسفله حيث هي الرميلة الذي كان بناه دوناس حين ادار الاسوار على سائر ارباضها وجعل في ذلك اقواسا بشبابيك من خشب الارز بالعمل المحكم لدخول الماء وخروجه وكان جعل بين العدوتين قناطر للمجاز لمن في كل عدوة الى الاخرى الاولى قنطرة ابي طوبة التي جددها الامير ابو سعيد عثمان رحمه الله والثانية قنطرة ابي برقوقة والثالثة قنطرة باب السلسلة والرابعة قنطرة الصباغين والخامسة قنطرة كهف الوفادين والسادسة قنطرة الرميلة وحين جاء السيل العظيم سنة خمس وعشرين وسبعمائة حمل قنطرة السلسلة وما بعدها فامر امير المومنين ابو سعيد ببناء قنطرة الصباغين وقنطرة باب السلسلة فبنيتا على حالتهما الآن وبنيت قنطرة الوفادين على يد من تطوع بذلك من المسلمين وبقيت قنطرة الرميلة الى الآن وارجو من الله ان يكون اذخرها لهذا الملك المبارك السعيد وجعلها من حسناته التي يبقى اثرها ويضاعف اجرها فانها

(1) Le Mst = عمر بن.

من الحسنات الطويلة الامتاع الكثيرة الانتفاع وسبب اهمال الامراء لبنائها ان اسوار المدينة لما رتب فيها الحجار والسمار في ايام المخالفة واول هذه الدولة المرينية ايد الله ملكها خرج سور الرميلة في فسط اليهود لعنهم الله واشتهر ذلك بينهم فلما تهدمت هذه القنطرة اشاع اليهود ان بناءها عليهم حسبما عليهم حجارة السور ليغتنموا ان يكون اثرها عليهم وليحرموا المسلمين من اجرها ولم يستطع اليهود بالمبادرة لبنائها وقبح على الامراء ان يكلفوهم بناءها خوف ان يبقى اثرها لهم فاهمل النظر فيها بسبب ذلك كل ذلك تلقيناه من جملة شيوخ فاس وما زال كبير لمتونة واميرها يوسف بن تاشفين في زيادة المساجد وسقاياتها وحماماتها وخاناتها واصلاح امورها واقدم من قرطبة جملة من صناع فبنوا منها كثيرا الى ان انتهت الى ما يذكر بعد ان شاء الله تعالى وفي ايامه صارت العدوتان قطرا واحدا وفي ايام ولده على بني سور الفوارجة التي بين باب الجيسة و باب اصليتن على يد قاضيه عبد الحق بن معيشة بمال وظفه على اهل فاس حسبما ذكره صاحب المقباس وفي سنة اثنتين واربعين وخمسمائة امر الامير عبد المومن بن علي بهدم اكثر الاسوار كذلك الى ان بدا بنناء ما هدم يعقوب المنصور وكمله ولده ابو عبد الله الناصر واقام بنناء القصبة التي بالوادي واتفق اهل السلوك الذين دخلوا مصانع الملوك في سائر الاقاليم انه لا نظير لها لاجل الوادي الذي يشقها وكذلك بنى باب الشريعة على حالها الان كما بنى امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين يوسف بن تاشفين سور زيتون بن عطية واقام البرج العظيم الذي هناك وكتب فيه اسمه وبفاس الآن من الابواب باب الفتوح وباب الخوخة وباب بني مسافر وباب الجيسة وباب اصليتن وباب الشريعة وهي

باب يدخلها الفارس بالعلم العالي والرامح بالرمح الطويل من غيران يميل العلم ولا ينثني الرمح لارتفاعها وسميت باب المحروق من اجل العبيدي الفائم بجبال وزان لما ظفر به فتل وعلق راسه على باب الشريعة المذكورة واحرق جسده في وسطها وذلك يوم ركبت مصاريعها بامر امير المومنين محمد الناصر بن المنصور سنة ستمائة وباب المطمر المتصلة من ابوابها بالقصبة وباب الوادي التي هي لدخول الخلفاء وخروجهم المتصلة ايضا بالقصبة وباب الحديد وباب الزيتون بن عطية وباب الجيزيين المفتوح منها خمسة وسائرها غلق في ايام المجاعة وانتهت مدينة فاس في ايام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والرفاهية والدعة والامن والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب لسيما في زمن المنصور الموحدي وولده محمد الناصر وكانت المساجد بها سبعمائة وخمسة وثمانين ودور الوضوء اثنتين واربعين والسقايات ثمانين والحمامات ثلاثة وتسعين وارحاء الماء اربعمائة واثنين وسبعين ودور السكنى تسعا وثمانين الفا ومائتين وستة وثلاثين والمصاري سبعة عشر الفا واحدى واربعين والفنادق اربعمائة وسبعة وستين والحوانيت تسعة الاف واثنين وثمانين وفيسارية واحدة في كل عدوة منها ودار السكة واحدة في كل عدوة منها والاطرزة ثلاثة الاف واربعة وتسعين ودور عمل الصابون سبعا واربعين ودور الدباغين ستا وثمانين ودور الصباغ مائة وستة عشر ودور تسبيك الحديد والنحاس إثني عشر ودور عمل الزجاج احدى عشرة وكوش الجير مائة وخمسا وثلاثين وافران الخبز الفا ومائة وسبعين واحجار عمل الكاغيد اربعمائة كل ذلك بداخل المدينة ودور الفخارة مائة وثمانين بخارج المدينة نفل عن المشرف علي بن عمر الاوسي فال نفلته من خط .. .. مشرف

المدينة في ايام الناصر بن المنصور.... ....
ولو مر بالمدينة البيضاء والملاح وما هو الى ذلك من الكهوف مقيم الآن بفاس لكانت تنتهي لاكثر من ذلك والله اعلم وكان اذ ذاك بجنبتي الوادي الكبير من حيث يبتدئ دخوله اليها الى ان يخرج منها دار الصباغين وحوانيتهم ودور الدباغ والصابون وحوانيت الكنافين والقصابين والسفاجين والمواضع المعدة لطبخ الغزل والفوالين وغيرهم ممن يحتاج الى الماء وفي اعلا ذلك اطرزة للحاكة ولم يكن بالمدينة واد يظهر للناس حاشا الوادي الكبير وباقي انهارها بنى عليها الحوانيت والدور والمصاري ولم يكن بداخلها بستان ولا رياض عدا زيتون بن عطية وخرب اكثر ذلك في ايام المجاعة والفتنة التي كانت في ايام العادل واخيه المامون وذلك عشرون سنة الى ان ظهرت الدولة المرينية اطال الله بقاءها فانجبرت البلاد وتامنت الطرق والعباد

بناء جامعي القرويين والاندلس

واما بناء جامعي القرويين والاندلس وذكر الزيادة فيهما الى هذا الوقت والحين فذكر ابو القاسم جنون وغيره في تاريخ فاس انه لما كثر الواردون عليها في ايام يحيى بن محمد بن إدريس كان ممن قدم عليها من القيروان محمد ابن عبد الله الفهري القروي (sic) ونزل بعدوة القرويين مع اهل بلده الذين وفدوا معه فمات وترك بنتين وهما فاطمة المدعوّة بام البنين ومريم وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب ورغبتا ان تصرفاه في وجوه من البر فعلمتا ان الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين

بالناس فشرعت فاطمة في بناء جامع عدوة القرويين ومريم في بناء جامع الاندلس

جامع القرويين

اما جامع القرويين فكان الشروع في حفر اساسها والاخذ في امور بنائها يوم السبت مهل شهر رمضان المعظم سنة خمس واربعين ومائتين وكان في موضعه الذي بني فيه ارض لعمل الخضر وفيه اشجار لرجل من هوارة كان قد حاز ذلك ابوه بوجه صحيح حين اسست المدينة فاشترتها منه فاطمة المذكورة ودفعت ثمنها من مالها الحاصل لها من ارثها من ابيها وتطوعت ببناء الجامع المذكور فحفر في ارضه واخذ منها التراب والكدان لبنائه وحفر بها بئر لاخذ الماء لبنائه ونصبت قبلته على نحو قبلة جامع الشرفاء الذي اسسه الامام إدريس رضي الله عنه بعد مشورة اهل العلم واجتهادهم في ذلك وبنى من اربع بلاطات من قبلة الوجوه في كل بلاط اثنى عشر قوسا من شرق إلى غرب وجعل محاربه بمقدار البلاط الذي امام الثريا الكبرى الآن وجعل مؤخره صحن صغير و بمؤخره صومعة حيث العنزة الان وتم على نحو ما ارادته وذلك بمطالعة الامير يحيى ثم صلت فيه وشكرت الله تعالى الذي وفقها لذلك ولم يزل على نحو ما بُني في ايام الادارسة الى ان كثرت العمارات واتصل البناء في ارباض المدينة من سائر الجهات وجرى امر زناتة بارض المغرب سنة سبعة وثلاثمائة فازيلت الخطبة من جامع الشرفاء لصغره واقيمت بجامع القرويين لاتساعه وكبره وصنع له منبر من خشب الصنوبر وكان اول خطيب خطب به الشيخ الصالح ابوعبد الله محمد بن علي الفارسي وقيل

سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وان الذي اقام الخطبة اذ ذاك هو الامير حامد بن احمد الهمداني عامل عبيد الله الشيعي على بعض بلاد المغرب بعد ان كان تغلب عليها مصالة بن حبوس القائم بدعوة الشيعي على بعض بلاد المغرب ولم يزل ذلك الى ان تقوى ظهور زناتة بالمغرب لاستدعاء الناصر لدين الله عبد الرحمان بن محمد ملك بر الاندلس لكبرائهم ورؤسائهم وبانتشار وصاياه ووصلة الاخبار منهم ولهم ومهادأتهم واكرام ساداتهم وقضى ما وإتهم وحيل اهل الطاعة على اهل المعصية منهم ممرًّا لمن عجز رجاله فويا لمن ضعف بماله الى ان هُدّت اليه افئدة كثير منهم بين مصحح في ولايته ومستجيب لدعوته ومغتنم لعطيته مستعين بقوته على مدافعة من قاهر ركنه من الادارسة والشيعة فقام زناتة بدعوة الناصر لدين الله وتغلبوا على بعض بلاد المغرب وبايعه اهل مدينة فاس في من بايعه حسبما ذكره صاحب المقتبس فولى عليهم عاملا له من زناتة يعرف باحمد بن ابي بكر بن احمد ابن ابي سعيد الزناتي وكان من اهل الفضل والدين فكتب الى الناصر ليستاذنه في بناء الجامع واصلاحه والزيادة فيه لحاجة الناس لذلك فاذن له وبعث له بمال كثير من اخماس غنائم الروم وامره ان يصرفه فيه فاصلحه وزاد فيه اربعة بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق وثلاثة من الجوف في موضع الصحن الذي كان فيه بلاط واحد بعد ان هدم الصومعة التى كانت به لكونها متطاولة الاشراف وبناها وهى الصومعة التي بالجامع الآن ولما شرع فى بنائها جعل سعة كل وجه منها احد وعشرين شبرا ويصعد لها على مائة درجة ودرجة وجعل بابها من جهة القبلة وغشيت بعد ذلك بصفائح النحاس الاصفر وتم العمل في بنائها على يد احمد بن ابي بكر

الزناتي في شهر ربيع الاول من سنة خمس واربعين وثلاثمائة حسبما كتب في التربيعة المنقوشة بها من جهة الصحن وجعل في اعلاها قبة صغيرة ووضع في دورانها تفافيح مموهة بالذهب في زُجّ من حديد وركب في الزّجّ المذكور سيف الامام إدريس بن إدريس رحمه الله الذي اسس المدينة وسبب جعله هنالك أن الامير احمد ابن ابي بكر المذكور لما فرغ من بنائها اختصم اليه بعض حفدة الامام إدريس في السيف المذكور وطلب كل واحد منهم ان يمتاز به ويحوزه لنفسه وطال النزاع في ذلك فقال لهم الامير هل لكم ان تسلموا لي وتتركوا النزاع فيه فالوا له وما تصنع به اذا تركناه لك فقال لهم أجعله في اعلا المنارة تباركا به وليكون لكم ذكر بسببه فقالوا قد وهبناه لك من طيب انفسنا فجعله في دورة الصومعة وجعل تحت القبة المذكورة قبة اكبر منها لجلوس المؤذنين لاشاعة الاذان في اوقاته وكان فيها بيت الراعي منهم لاوقات الليل وانصداع الفجر لاقامة الاذان وبندائه يقتدي المؤذنون بصوامع المدينة يخلدونه على العادة المنتقلة من قديم الزمان ولهم بمواضع منها بلاطة رخام موضوعة هنالك بالحكمة وفي وسط كل بلاطة قائم يستدل بصدود ظله على خطوط في البلاطة بطول ازمان النهار ومرور ساعته وقد نصبها اهل العلم بالهيئة عن نظر وموافقة وهي لهم في افضل الهدايات وفي عطفات ادراجها سرج زاهرة الضياء يمر عليها الليل كله يستعان بها أيضا لرعي الفجر واجزاء الليل ولم تزل كذلك إلى ان ولى القضاء بالمدينة الفقيه الخطيب ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب ابن كنون فعمل في ايامه المعدل ابو عبد الله محمد بن الحباك بدنا من الفخار بالقبة العليا فيه الماء وجعل على وجه الماء مجرى من نحاس فيه خطوط وثقاب

يخرج منه الماء بقدر معلوم إلى ان يصل الخطوط فيعلم بذلك أوقات الليل والنهار في ايام الغيم ولياليها وذلك في سنة خمس وثمانين وستمائة ثم غفل عنه واهمل وفي السنة المذكورة شرع في اصلاح الصومعة المذكورة وتبييضها بالجبص والجير بعد أن سمر فيها من خارجها ثلاثة قناطير وربع قنطار ونصف ربع قنطار من مسامير الحديد ودلكت بعد تبييضها حتى صارت كالمراة المصقولة بعد ان كان الطير يعشش في بعض فرج (1) كانت بها وانقطعت أذايتها (2) وبني ايضا الغرفة المطلة على الصحن وانتقل اليها بيت المرعى للاوقات وجلوس القومة بها واما المنجانة التي صنعت في هذه الغرفة لمعرفة الاوقات فان الشيخ المعدل ابو عبد الله محمد الصنهاجي احدثها هنالك ورسمها له ابو عبد الله محمد ابن الصدّينية الفرسطوني وتطوع بعض المسلمين بالانفاق فيها سنة سبع عشرة وسبعمائة وذلك انه جعل في ركن الغرفة عن يسار المستقبل مجنّاً من خشب الارز وجعل في داخله بدنين كبيرين من فخار احدهما اعلى من الاخر وجعل الماء في الاعلى منهما وباسفله انبوب من نحاس محكم العمل يهبط منه الماء في البدن الاسفل بقدر معلوم وجعل في طرف الجنح مقطسا وجعل في جانبي التقطيسة مرسوما فيهما ايضا الساعات ودقائقها واوقات الليل والنهار وجعل المسطرة معلقة في....... خارجا من الجنح يجري في حجر التقطيسة طالعا وهابطا وجعل على وجه الماء الذي يجتمع في البدن الاسفل جسما مجوفا من نحاس على هيئة الاطرفة معلقا في الطرف الداخلي على العلو فاذا طلع الجسم بطلوع الماء الذي

(1) Mst = برج.

(2) Mst = اداينتها.

يجتمع في البدن الاسفل طلع طرف.......... الخارج من الطفتيسة وطلعت بطلوعه المسطرة كما كانت ثم غفل عنها واهملت إلى ان تفدم للنظر في الاوفات ابو عبد الله محمد بن العربي سنة سبع واربعين وسبعمائة فجدد المجانة على وجه الاتفان افضل من الاول ولم يزل يجتهد في ذلك إلى صدر ايالة مولانا ابي عنان رحمه الله فاكثر الاجتهاد في خدمته وجعل خارج الجنح المذكور فبلة المستفبل دائرة وعليها شبكة الاسطرلاب ورسومه تدور ومتى طلعت المسطرة المذكورة يعرف بها ايضا اوفات الليل والنهار واعد هناك مع ذلك رمليات لاختبار الاوفات وجملة الاسطرلابات وفف ذلك على من ينظر فيه اجزاء الليل والنهار وصعد مولانا ابو عنان رحمه الله الصومعة ليعتبر في المدينة وترتيبها ووفف على المجانة وما اتصل بها فاستحسن ذلك وأنعم على الناظر فيها بمرتبة وسع الله عليه ليستعين به على الفيام بشرائع الاسلام وذلك في سنة تسع واربعين وسبعمائة وأمر بأثر ذلك أن تجعل باعلا الصومعة المذكورة صارية ينشر فيها علام في اوفات صلاة النهار وفنار فيه سراج زاهر لاوفات صلاة الليل ليستدل بذلك من بعد عن المدينة ولم يسمع النداء وفي ذلك اعتناء بأمور الاوفات وبما يتعلق بها من وجوب الصلاة وما يترتب عليها من الحفوف ووجوه العادات والعبادات

— ولها ابيات في ذلك

(البسيط)

نور به علم الايمان مرتفع للمهتدين به للحق من بشر(1)

---

(1) On lit dans *Djadwat* (p. 31) للحق إِرْشَادُ .

ياتون من كل أوب نحوه ولهم   مبينا لانسلاخ الليل عن نهار(1)
روح من الماء في جسم من الصفر   مولد بلطيف الحسن (2) والنظر
مستعبر لم يفض عن عينه ابدا   ولم يبت من ذوي ضغن على حذر
وفي اعاليه حسبان يفصله   للناظرين بلا ذهن ولا فكر
اذا بكى دار في احشائه فلك   خافي المسير وإن لم يبك لم يدر
مترجم عن موافيت يخبرنا   بها فيوجد فيها صادق الخبر
تُقضَى به الخمس في وقت الوجوب وإن   غطّى على الشمس ستر الغيم والمطر
وإن سهرْتَ لاوقات تُؤرِّقنَا   عرفْتَ مقدار وقت السمر والسهر(3)
محدِّد كل ميقات تخيّره   ذوو التمييز للاسفار والحضر
مُخَرِّج لك بالاجزاء ألطفها   من النهار وفوت الليل والسحر
نتيجة العلم والافكار صوّره   يا حبذا أبدَعَ الافكار في الصوَر(4)

وقد صنع ابو عنان رحمه الله مجانة بطيسان وطسوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته الجديدة التي أحدثها بسوق القصر من فاس وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صَنْجة في طاس وتنفتح طاق وذلك في ايام آخرها الرابع عشر لجمادى الاولى من عام ثمانية وخمسين وسبعمائة على يد موقته أبي الحسن علي بن احمد التلمساني المعدل واما القبة التي باعلى العنزة فانه لما

---

(1) Cet hémistiche, dans *Djadwat*, est différent : لَدَيْه للرُّشْدِ إِصْدَارٌ وَإِيرادُ et donne un meilleur sens. Comme on le voit pour ces deux premiers vers, dans la *Djadwat*, la rime est en *dâl*.

(2) *Djadwat* = الحدق .

(3) Ce vers manque dans *Djadwat*.

(4) Ces deux derniers vers manquent dans *Djadwat*.

تغلب المظفر ابن المنصور(1) بن ابي عامر حاجب هشام المويد على بدينة باس بعد مناوشته سنة ثمان وثمانين وثلاثماية بنى القبة المذكورة ونصب اعلاها طِلّسَمَات وتماثيل كانت قبل ذلك على راس القبة التي كانت باعلا المحراب الاول بالجامع المذكور مما صنعه الاوائل ومنه ما صنع في ايام الشيعة وجعل الطلسمات على أعمِدة من حديد منها طلسم الفار على صورة الفار فكان الفار لا يدخلها ابدا ولا يعشش فيها وان دخلها افتضح وقُتِل ومنها طلسم العقرب وهو على صورة طائر في منقاره شبه ذنب العقرب فكانت العقارب لا تدخلها ابدا وان دخلت افتضحت وان دخلت في ثوب احد خمدت لا تتحرك ومنها طلسم في طفافيح من نحاس للحية فلا تدخله حية وان دخلت افتضحت وقتلت وما يوجد فيه من الحيات فهي من عمار الجن وهذا لا ينكر لان الله سبحانه اجرى عادته في ارتباط بعض الاشياء ببعضها اذا كانت في وقت مخصوص ولا يعلم قط على قديم الزمان وحديثه من لَدغتْهُ عقرب ولا حية وقد تعطل ذلك كله منذ اعوام................(2) والبيلة المستطيلة عن يسار الخارج من باب الحفاة الجوفية فان المظفر بناهما وجلب الماء اليهما من وادي حسن الذي باعلا المدينة من ناحية باب الحديد واما الذي صنعه المظفر ابن المنصور بعدُ المنبر الذي صنع في أول ظهور زناتة فكان من عود الابنُس والعنّاب وغيرهما وكان مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم هذا ما أمر به الخليفة المنصور سيف الاسلام عبد

(1) Sur ce personnage et son expédition en Maghrib, voir *Qirṭâṣ* (éd. p. 75).

(2) Cette lacune pourrait être ainsi comblée : وأمـا السقـايـة , mots que donne la *Djadwat* reproduisant cette partie de ce texte.

الله هشام المؤيد بالله اطال الله بقاوه على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن المنصور ابن ابي عامر وفقهم الله تعالى وذلك في ثمان وثمانين وثلاثمائة وكان يخطب عليه إلى ايام علي بن يوسف بن تاشفين فترك .صنع المنبر الذي بها الآن على يد قاضيه أبي محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الغرناطي ولم يتم في ايامه وتمم بعد صرفه عن قضاء فاس على يد القاضي بعده ابى مروان عبد الملك بن بيضاء القيسي وصنع من عود الصندل والابنوس والنارنج والعناب وعظم العاج والذي صنعه ونجره الشيخ الاديب ابو يحيى العتاد وكان ممن عمر عمرا طويلا حتى زاد على المائة سنة وكان اماما في اللغة والشعر وروى عنه جملة من اهل فاس وغيرها وكان جملة النفقة فيه من مال الاحباس المستخرج من الوكلاء عليه ثلاثة آلاف دينار وثمانمائة دينار وسبعة اعشار دينار فضة وكان له غشاءان احدهما من جلد معزي والثاني من خيرة كتان يُزالا عنه في كل يوم جمعة وذلك في شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة حسبما كتب على ذروته بالعاج

الخطباء والأيمة بجامع القرويين

والخطباء الذين خطبوا فيه عند صنعه في اخر دولة لمتونة وفي الدولة الموحدية وصدر الدولة المرينية اطالها الله تعالى الى زماننا هذا اولهم الخطيب ابو محمد المهدي بن عيسى وكان من احسن الناس خِلقا وخُلقا وافصحهم لسانا واكثرهم بيانا وكانت موعظته تؤثر في القلوب والاخلاق وكان يخطب في كل يوم جمعة خطبة لاتشبه اخرى فاقام يخطب مدة خمسة اشهر ثم دخل الموحدون المدينة فصرفوه عن الخطبة وقدموا مكانه الفقيه الصالح ابا الحسن بن عطية

لاجل حفظه اللسان البربري لانهم كانوا لا يقدمون للخطبة والامامة الا من كان يحفظ التوحيد باللسان البربري فخطب به الى ان توفي في ثامن ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فخطب بعده الفقيه الصالح الورع ابو محمد يشكر بن موسى الجراوي (1) وهو أحد اشياخ المغرب في الدين والفضل والزهد والورع والمجاهدة والتقشف والايثار والصدقات كثير القيام بالليل لسيما في رمضان قيل له ذات ليلة لو روحت نفسك قليلا واعطيتها حظها من النوم لكان ارفق لك فقال انما اطلب راحتها في الاخرة ثم انشد رحمه الله

(الكامل) (2)

لا تجعلَنْ رمضانَ شهرَ فكاهةٍ تُلْهيكَ (3) فيه من الحديث فنونُه
واعلمْ بأنك لاتنال ثوابه حتى تكون تصومه وتصونُه (4)

وروى عنه ان احد عمال الموحدين بفاس كتب لمراكش ان ابا محمد يشكر كان يدعو للخلافة فوصل الخبر بذلك إلى الخليفة في حال خروجه فبعث من حينه بان يُشخَصَ وكان من الواقفين بين يديه احد الصقلب وبيده طَبَرْزِين (5) من حديد فاخذه (6) منه وامسكه بيده وقال لمن حضر بهذا اقتله فُقدِّر أنه ضرب جبهة نفسه بطرف الطبرزين فانبعث من الضربة دم كثير

---

(1) Mst = الجرادي.

(2) Ces deux vers sont cités dans *Qirṭâṣ* (éd. p. 197) et *Djadwat* (éd. p. 33).

(3) *Djadwat* (p. 33) = ناهيك.

(4) *Qirṭâṣ* et *Djadwat* = تفومه.

(5) Mst = اطرزبين.

(6) Mst = أخذ.

فبادر الاطباء بفطع دمه بجملة من الادوية وانواعها فلم ينفطع وكان ممن حضر عند الخليفة احد الصلحاء فتفرس في ذلك وفال للخليفة إن كنت هممت بسوء فتُبْ منه فتذكر إشخاص ابي محمد يشكر فتاب من ذلك وبودر برد الذي بعث لاشخاصه فانفطع الدم من حينه وكان له نفعنا الله به غنم وماشية كثيرة ببلاده التي نشاء بها ورثها عن ابيه وكان متصدفا بكثير منها وكان يؤمّ ولا يخطب لانه كان اعجمي اللسان شديد العجمة فقدم لينوب عنه في الخطبة خطيبا الفقيه الزاهد ابا عبد الله بن زيادة الله المزني (1) وانفرد بالامامة ثم توفي ابو عبد الله بن زيادة الله في ثالث وعشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فخطب بعده الفقيه ابو الفاسم بن حميد باستخلاف ابي محمد يشكر له في ذلك وتوفي ابو الفاسم بن حميد يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان سنة احدى وثمانين وخمسمائة فخطب بعده الفقيه الصالح الورع ابو عمران موسى المعلم لكتاب الله تعالى باستخلاف أبي محمد يشكر له في ذلك وكان ابو عمران هذا يعلم الصبيان بالمكتب الذي بفنطرة ابي رءوس وكان له صوت شجي حسن يبكي كل من سمعه يفرا الفرآن ولما كان في الخطبة داخلته دهشة واطلق صبيانه ثم أخذ في البكاء والدعاء وفال اللهم لا تفضحني بين عبادك يا ارحم الراحمين ولما نادى الموذن يوم الجمعة لبس احسن ثيابه وسار الى الجامع ففعد في حجرته حتى خلا الاذان ففام وخطب ولم يتوفف ولم يتلجلج ثم دخل المحراب فاتى بالحكمة وفصل الخطاب في فراءته فبكى كل من حضر فلما تمت الصلاة افبل الناس اليه

(1) Sans doute faudrait-il lire المدني comme dans le nom propre analogue donné ci-dessous à un autre *khaṭīb*.

يفبلون يديه ويتبركون به ولم يزل خطيبا الى ان وصل الففيه الفاضي ابو محمد عبد الله بن ميمون الهواري فكان اول سواله لاهل المدينة عن خطيب جامع الفرويين فذكر له فيه خير واثنى عليه كثيرا فلما جاءت الجمعة راه فلم تعجبه صورته واستشنعها وفال فيه فولا ففال له بعض من حضره لو سمعت خطبته لا عجبك فلما سمع خطبته بكى وطلب منه المغفرة والدعاء وكان سريع الدمعة كثير الخشوع الغالب عليه في احواله الخوف وتوفي ابو محمد يشكر في الحادي والعشرين لذي الفعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وافام اماما بجامع الفرويين اربعين سنة لم يسه في ذلك لشدة حضوره في صلاته ولم يترك عفبا وبنو يشكر الذين بفاس الآن ليسوا من عفبه وانما اشتركوا في الاسم واجتمع لابي عمران الخطبة والامامة إلى ان توفي في عشرين من صفر سنة ثمان(1) وتسعين وخمسمائة فخطب بعده ولده الففيه ابو محمد عبد الله وسنه يوم ولي ثمان عشرة سنة وكان له حظ وافر من الجمال والعلم والدين والفضل والورع وحسن الصورة لم يكن له صَبْوة في صغره ولم يزل مشتغلا بطلب العلم منفطعا للعبادة ولما مرض والده ابو عمران فيل له استخلف ولدك للصلاة ففال ان علم الله فيه خيرا فهو يستخلفه فلما توفي ابو عمران وحمل إلى فبره ووضع على شفيره للصلاة رضي الناس بالبكاء وطلب من يصلي عليه ففال فاضي البلاد لولده تفدم فصل على أبيك فتفدم وصلى عليه وانصرف الناس وفدم في موضع أبيه واستحسنه الناس ولما اتى الناصر بن المنصور الى مدينة فاس بعث اليه ليراه فوصل اليه وسلم عليه وبفي يحادثه الى وفت

(1) Il vaut mieux lire تسع avec *Qirṭâs* (éd. p. 50).

الظهر فقال له فم فصل بنا ثم قال له الناصر من تركت في موضعك للصلاة بالناس فقال تركت من هو خير مني وهو معلمي الذي قرأت عليه القرآن وذلك لانه لما وصلني رسولك تخيرت في امر من يتقدم لذلك فقلت لا اعلم متى يكون الرجوع هل بالقرب او بالبعد ثم تذكرت قول الرسول عليه السلام مولاك من علمك آية من القرآن(1) فأعلمته بالقضية واستخلفته في مكاني فقال له الناصر جزاك الله خيرا ثم امره بالانصراف وأتبعه مملوكا بجملة ثياب وصرة فيها الف دينار فرجع الى الناصر وشكره ودعا له وقبل منه الثياب واستعفاه في أمر الدنانير فاعفاه ولم يزل خطيبا واماما إلى ان توفي في يوم الحادي عشر لرجب سنة احدى عشر وستمائة فخطب بعده الفقيه ابو محمد عبد الله القضاعي المشار اليه باستخلافه وقت مرضه فانتقد عليه وطعن الناس فيه انه يعث صبيان مكتبه للنساء وطالع (2) في ذلك من له النظر العام فقال ان الذي قدمه للصلاة اقر بين يدي الناصر امير المؤمنين أنه خير منه فاتركوه على حاله(3) فترك ابو محمد المكتب وصار معتكفا في الجامع ويسكن في الدار الموقفة على أيمة الجامع إلى ان توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وستمائة فخطب بعده الفقيه العالم ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشبلي وكان من اهل العلم والدين والفضل

---

(1) Mst : مولاى ثم مولاك ; même lecon dans *Djdḍwat* (36) ; voir *Qirṭâṣ* (p. 51 *in princ.*).

(2) Mst = طولع.

(3) Ces paroles sont à peu près textuellement tirées du *Qirṭâṣ* qui les met dans la bouche du khalife En-Nâsir, ce qui rend ce passage beaucoup plus clair.

وكان له صوت حسن ومعرفة بالاوقات توفي سنة تسعة وعشرين وستمائة (1) فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الحاج ابو عبد الله محمد بن عبد الله المدعو بالخطيب توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع ابو محمد عبد الغفار سنة اشهر وتاخر لنفسه وكان سبب تأخره ان احد الحساد اشاع عنه أنه ينون السلام فيقول السلامٌ عليكم وبلغه ذلك فاستدعى جماعة من وجوه المدينة وقال لهم إنه بلغني أنه يقول أني انون السلام وبالله ما فعلت ذلك قط ولاكِنّكمُ انظروا لانفسكم من يكون عوضا عني وبالله الذي لا اله الا هو لا تقدمت باحد أبدا فخطب بعده الشيخ الورع ابو الحسن علي المعروف بابن الحاج يحكى أنه لما تاخر ابو محمد عبد الغفار رغب الناس في الشيخ الصالح ابي محمد عبد الله الفشتالي أن ينظر لهم خطيبا فوعدهم ان يستخير الله تعالى في من يصلح لذلك فرأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم يشير عليه بابي الحسن المذكور فلما كان الصباح جاء إليه الناس الذين وعدهم فقال لهم الشيخ ابو محمد عليكم بابن الحاج فامتنع ثم رغب المرة بعد المرة وامتنع أن يسكن الدار المحبسة على أيمة الجامع وقال لا ينبغي ان يكون السكنى عوض الامامة وتورع عن ذلك فقيل له ان لم تسكنها تعطل حبسا عينه المحبِّس لذلك فقال أمهلوني لانظر لنفسي مخرجا ثم أجاب لسكناها على ان يكون يخيط حصر الجامع ورأى ان ذلك عوضا عن السكنى والله ينفعه بذلك توفي رحمه الله سنة ثلاث وخمسين وستمائة فخطب (بعده) الشيخ الفقيه المشاور الورع

(1) Le Mst donnait 609 ; *Qirṭâṣ* (p. 51) donne 629 et la *Djaḏwat* (p. 35) indique 629 et aussi 626.

ابو عبد الله محمد بن يوسف المزذغي ثم قام ولده عوضا عنه وكان لما دُعي للامامة استرجع ثلاث مرات فقيل له لم ذلك فقال انه اخبرني الشيخ الحافظ المحدث ابو ذر الحسني[1] وانا اروي عليه كتاب الاحكام في الحديث النبوي يوم توفي الفقيه ابي محمد بن موسى المعلم وولي الفضاعي عوضه ونظر الي مليا ثم قال لي يا محمد انك تلي الامامة للصلاة بالناس في جامع القرويين وذلك في اخر عمرك فلما دُعيتُ للامامة تذكرت مقالة الشيخ وعلمت ان اجلي قد قرب فاسترجعت وأقام ابو عبد الله محمد المزذغي إماما وولده ابو القاسم خطيبا الى ان توفي ابو عبد الله محمد في تاسع ربيع الاخر سنة خمس وخمسين وستمائة وولي الامامة بعده الشيخ الفقيه (الصالح الزاهد الورع) ابو الحسن علي بن حميد (ثم توفي الخطيب ابو القاسم المزذغي المذكور فولي الخطابة الفقيه ابو عبد الله محمد بن)[2] زيادة الله المدني[3] الى ان توفي وبأثره توفي ايضا ابو الحسن بن حميد رحمهما الله تعالى فخطب بعدهما بتقديم فقهاء المدينة واشياخها الشيخ الفقيه ابو القاسم عبد الرحمان بن مشونة وقدم للامامة الشيخ الفقيه القارئ ابو العباس بن ابي زرع واقاما في ذلك مدة من سبعين يوما فخطب بعد ذلك الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب بن يكنون الزناتي النفسجي من بني سدر واضيفت له الامامة كل ذلك بامر أمير المؤمنين ابي يعقوب

---

(1) Mst = ابو ذر الخشني, ainsi que la *Djadwat* (p. 36) ; la leçon donnée ici est tirée du *Qirṭâs*, p. 53.

(2) Les mots entre parenthèses manquent dans le mst ; ils sont tirés du *Qirṭâs*, *ibid*.

(3) Mst = المزني ; *Qirṭâs* = المدني.

في سنه تسعة وثمانين وستمائة الى ان توفي في تاسع ذي الفعدة من سنة ثلاث وتسعين وستمائة فخطب بعده الففيه ابو الحسن يحيى بن ابي الفاسم عبد الرحمان بن محمد بن يوسف بن عمران بن الفتوح المزدغي في يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الاخيرة سنة اربع وتسعين وستمائة وتفدم للامامة الففيه المحدث الاصولي ابو العباس احمد بن راشد العمراني عن أمر امير المومنين ابي يعفوب رحمه الله في موفي عشرين من جمادى المذكورة وافام اماما ثلاثة اعوام ثم صرف منها واضيفت الامامة الى ابي الحسن المذكور المزدغي الى ان توفي في خامس وعشرين من شوال سنة ست وعشرين وسبعمائة فخطب بعده ولده الففيه المحدث ابو الفضل محمد (1) وكان حسن

(1) L'auteur du *Qirṭâṣ* qui vivait et écrivait à Fès son livre en 726 donne une recension différente de ce passage. Les deux textes, pouvant se compléter l'un par l'autre, voici ce passage (*Qirṭâṣ*, p. 52-53) :

.... مدة من سبعين يوما فوصل ظهير كريم من فبل امير المسلمين ابي يوسف بن عبد الحق فتفدم الشيخ الصالح المبرور رابي عبد الله محمد بن ابي الصبر ايوب اماما وخطيبا فلم يزل كذلك اماما وخطيبا إلى ان توفي رحمه الله في سنة تسعين وستمائة ففدم امير المسلمين ابو يعفوب بن ابي يوسف بن عبد الحق رحمه الله للامامة الشيخ الففيه المحدث الورع ابا العباس ابن الففيه العالم المرحوم ابي عبد الله بن راشد امام عصره في علم الاصول والاعتفادات وفدم ايضا للخطبة الففيه المحدث الصالح الفاضل المبارك ابي الحسن ابن الشيخ الففيه الخطيب المرحوم ابي الفاسم المزدغي فبفي ابو العباس بن راشد اماما للجامع المذكور نحو ثلاثة اعوام ثم أخر واستبد الففيه ابو الحسن المزدغي بالامامة والخطابة الى ان كبر سنه وضعف من الخطابة ففدم للخطابة ولده الففيه الفاضل الصالح المبارك ابو الفضل أبفى الله بركاتهم بمنه وفضله إنه سميع كريم مجيب سبحانه وتعالى

السمت قليل الضحك مولعا بقضاء حوائج الناس ممن عرف وممن لا يعرف تارة بنفسه وتارة بماله وتارة برسالته مؤثرا جوادا حتى انه لا يرد سائلا ولا شاعرا قصده بل يبادر لقضاء حاجته وربما عدله بعض الناس في ذلك فكان ينشدهم متمثلا

(الكامل)

لا تقبلَنّ الشعر ثم تُضيعُه   فتنام والشعراء غير نيّام
واعلَمْ بانهم اذا لم ينصفوا   حكموا لِأَنفسهم على الحكّام
وجناية الجاني عليهم تنقضي   وعقابُهُمْ يبقى على الايّام

وكان الناس يتوسلون به عند الخلفاء والامراء وغيرهم في حوائجهم لمنزلته عندهم وكان كثير تسبّباته في الحراثة والزراعة والغراسة وكسب اموالا كثيرة وكان كثير الانفاق لنفسه وحاشيته لاسيما في المواسم والولائم الى ان ارتكبته ديون كثيرة وغفل عن ضبط ماله والتفقد لاحواله واسترسل بالمسامحة للوكلاء فتعين عليه مال جسيم مبلغه احد والثلاثون الف دينار وثلاثماية دينار كلاها من الذهب العين من جملتها ودائع كانت بيده ولم يبلغ ما القى بيده وقدره من الاملاك والرباع وغير ذلك عند طلب الناس اموالهم وقيامهم عليه حاشى عشرة الف دينار وخمسمائة دينار من الفضة اقتسمها الغرماء حسب ديونهم ولما سمع أمير المسلمين ابو الحسن رحمه الله عند تحققه بذلك صرفه عن الخطبة والامامة ورأى ان ذلك مما يقدح فيه وانفذ أمره بصرفه ورفع له هذه الابيات

(الطويل)

أمولاي يا فخر الملوك ومن لـه — مزايـا عـلى كل الملـوك الأكابـر
أما إن تحنّ او ترحّم شأفتـي (1) — وحبك ثاو في الحشـا والضمائـر
وحبّك في فلبي (2) اليك مجدّد — لـدا كل بـادٍ في الأنـام وحاضـر
فكيف يضيع الحب يا نور ناظري — وأنت إمـام ذو(3) العـلا والمآثـر
وكيف يكون المرء اعني حبيبكم (4) — مضامًا مهانًا في الفرى والحواضـر
وفد فال اهـل العلـم طُرًّا بفاسنـا — بأن الذي فد كان ليـس بضائـر
وغايـة ما فد عـدّدوه (5) صغائـرُ — ولا فرح (6) فيمن فدأتـى بالصغائر
أأبعَدُ عنكـم دون فعل كبيـرة — وأمنَـعُ فهـرا من سعـود المنابـر
ولو كنتُ يا مولاي أعلَم أن مَـن — رفى منبـرا مثلي يكـون مناظري
لَمَا طمحت نفسي لشيء من العلا — والزمتها دون (7) الصفوف الاواخر

ولمّا وفف عليها السلطان ندم عـلى صرفه وكتب الامـر بذلـك لمدينة فاس من منصورة تلمسان في الثالث عشر شعبان سنة ست واربعين وسبعمائة ووفف الامير ابو الحسن رحمه الله على فصيدة من نظمه كان اراد رفعها لمفامه العلي حين غلبه الديـن يستنجـده ويعينه في دينـه فخجل مـن ذلـك

(1) *Djadwat* (p 37) = اماءان ان تحنو وترحم شاختى .

(2) *Djadwat* = وحب ابي فلبي .

(3) *Djadwat* = ذي .

(4) *Djadwat* donne aussi la version, très acceptable : وكيف يكون المزدغي عبيدكم .

(5) Mst = عددوها .

(6) *Djadwat* = فدح .

(7) *Djadwat* = بين .

واجرى له جراية (1) مبلغها مائة دينار وخمسون دينارا فضة كل شهر الى ان توفي في عقب شوال سنة ثمان واربعين وسبعمائة ومن القصيدة

(البسيط)

ما لي سوى المقتدي بالكتب والرسل   بعد الاله أمير المسلمين علي
ما لي سواه لما ارجوه من مفر (2)   ما لي سواه لنيل السؤل والامل
نجل الخليفة عثمان الذي وضحت   منه المعالي وضوحا غير محتمل
اعني ابا حسن قطب الملوك ومن   أحيى الخلافة في علم وفي عمل
عز (3) الملوك اذا خطب ألَمّ بهم   غيث العفاة أمان الخائف الوَجِل
بحر السماحة فياض لوارده   عذب ويرويك في نبل (4) وفي نهَل
ينسيك يوم هياج الحرب عَمْرَهم (5)   عند الطعان وما عمرو بمحتمل
ماضي العزائم جود في شجاعته   يوفر (6) على كل ذي وصف وذي مثل

ونقل مثل هذا انما هو ليكثر الشاعر من الشكر على القناعة وليذكر المغرور ويعتبر العافل فخطب بعده الفقيه التالي لكتاب الله تعالى ابو محمد عبد الله الجنياري كان رحمه الله كثير الصوم وقدمه لذلك ابو الحسن أمير المسلمين رحمه الله الى ان توفي يوم الخميس السادس والعشرين لشهر جمادى الاولى

(1) Mst = جارية et ajoute après ce mot ainsi que *Djadwat* (p. 38) : من مجنى فاس « provenant des produits de (la ville) de Fès ».

(2) *Djadwat* = منن qui vaut mieux, pour la mesure du vers et le sens, que مفر.

(3) *Djadwat* = غوث.

(4) *Djadwat* = عيل.

(5) *Djadwat* = عنترة (il s'agit ici de 'Amr ben Madi Kariba et non de 'Antara).

(6) *Djadwat* = يُربي qui vaut mieux que يوفر pour la mesure.

من سنة خمسين وسبعمائة فخطب بعده الشيخ الفقيه العالم الصالح الولي ابو الحجاج يوسف بن عمر الانفاسي بتقديم مولانا ابي عنان رحمه الله بعد الاستخارة والنظر والاصلاح للمسلمين وقبل التقديم بعد ان ابدا لنفسه أعذارا لم يسمح له فيها للمصلحة التي غلبت على أعذاره وفرح الناس بتقديمه له وشكروه على اعتنائه بالامور الدينية وبعث له في اول خطبة خطبها كسوة سنية تشتمل على برنوص وبدن كلاهما أبيضان من صوف واحزام للتردية وجندبان للتعميم ودُرّاعتين من ثوب الرصان وقبطية شراشية العمل قال الرسول الذي حملها له ان قيمتها ازيد من مائة دينار من الذهب ولما وصلته خجل من ذلك وقال ان هذه الكسوة لا تصلح لمثلى وفيما عليّ من اللباس كفاية وفهم منه طلب المعافاة في قبولها فقال له الرسول أنت من اهل العلم وعندك وجوه لاخذها وانما قصد مرسلها ومهديها التنويه بأهل العلم مثلك ليمتاز اهل الخطط من غيرهم وليعلم الناس بتقديمه لك وبما في الهدية من التودد فقبلها وشكر عليها ودعا له بصلاح الاحوال ثم لبسها في حال خطبته الاولى ثم وهبها بعد ذلك لمن يستحقها من كرماء البلد واقتصر على عادته في لباسه ولم يزل عنده محمولا على المَبَرّة والاكرام مقضي الحوائج على الدوام وخطب نائبا عنه لاعذار ابداها الشيخ القاضي الراوية المحدث ابو عبد الله محمد بن الحاج ابي الحسن علي بن عبد الرزاق الجزولي وما زال ابو الحجاج يوسف يعتذر على القيام بها إلى ان استبد بها للقيام بذلك الفقيه ابو عبد الله بن علي المذكور واقام خطيبا الى ان اختلّ حفظه وظهر عجزه من الخطبة فخطب بعده الفقيه الاعدل الصالح ابو محمد عبد الله ابن الخطيب أبي محمد عبد الواحد ابن الخطيب ابي عبد الله محمد بن ابي

الصبر بتعيين ابي عنان رحمه الله تعالى لذلك في يوم عجزمن ذكروذلك يوم الجمعة الرابع عشر لجمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وتوفي الفقيه ابو عبد الله بن علي بن عبد الرزاق المذكور في يوم الاحد الرابع لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وبقي الصالح ابو الحجاج اماما الى ان مرض وعجز عن القيام بالامامة فقدم ولده الشاب الصالح الولي الوريع ابا الربيع سليمان نائبا عنه في ذلك بعد أبائه منه ثم أجاب في يوم الاربعاء الثامن عشر لرمضان سنة ستين وسبعمائة واستمرت الاستنابة الى ان توفي والده المذكور في يوم الاحد الثالث عشر لشعبان سنة احدى وستين وسبعمائة واستقل ولده ابو الربيع بالامامة وظهر عنه خير واستقامة ثم تأخر من تلقاء نفسه نفع الله به لأمر ظهر له في ذلك واجتمع لابي محمد عبد الله الصبر(1) المذكور الخطبة والامامة في اواخر عام سنة وستين وسبعمائة

ما زيد من البناء في الجامع

ومن الزيادات في الجامع المذكور الباب الاكبر الغربي الذي بسماط الموثقين بني من مال الاحباس(2) في ايام الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى السبتي سنة خمس وخمسمائة كذا قاله صاحب المقباس ثم صنع بخارجة قبة الجص المقربسة(3) التي عليها الآن الغربية الصناعة سنة سبع عشرة وستمائة على

(1) Il faudrait lire ابن أبي الصبر au lieu de الصبر.

(2) Le mst = من مال ذي الاحبال ; l'auteur du *Qirṭâs* indique que les travaux en question furent faits sur les revenus des biens habous, (cf. éd. p. 38) ; le passage est cité ainsi dans *Djadwat*, 40.

(3) Mst = مقوسة ; Cpr. *Djadwat*, p. 40.

الخطيب أبي عبد الله بن موسى المعلم قاله صاحب الانيس والباب الاكبر المعروف الآن بباب الشماعين بني من مال الاحباس في ايام القاضي ابي عبد الله محمد بن داوود سنة ثمان عشرة وخمسمائة(1) كذا كتب في قبة الجص التي بداخله وصنع مرتفعا واسعا على صفة الباب القريب منه المذكور انفا وركب عليه مصراعين عظيمان قد حسنت قاعدتاه على ما هو الآن عليه وحين حفر أساس هذا الباب وجد على يسار الداخل منه حيث هي الدكانة الآن بناء مغبّى قُدِر أنه كنز فهدم بعض الاقباء فوجد تحته صهريج طوله ثمانية اشبار وعرضه كذلك وفيه ماء معين وبالصهريج سلحفاة قد ملأته واختلفوا في اخراجها ثم رأوا أن يشاوروا في ذلك فقهاء فاس فاشاروا بتركها في موضعها وان يُعاد الاقباء عليها كما كان وهذه الفتوى لا تصلح والله أعلم لان السلحفاة ان كانت فيها الحياة فلا يجوز أن يبنى عليها وإن كانت ميتة فلا يجوز ايضا بناء المسجد على الميتة اللهم الا ان يكون ذلك الماء غذاء لها وليس في البناء عليها تعذيب لها فلا يمنع البناء عليها وايضا فقد كان من تقدم ربّما جرب غير ما مرة وقوع الضرر لمن يريد اخراجها من موضعها اما لكونه جنّا عامرا أو غير ذلك والله أعلم ولما تم بناء هذا الباب عمل باعلاه قبتان احداهما من الجص بداخله وعملت القبة الثانية من خشب الارز بخارجه ثم اضطرمت نار من جهة باب السلسلة وأحرقت ما مرّت عليه من الاسواق إلى ان وصلت قبّة الخشب المذكورة فاحرقتها وذلك في شهر جمادى الاخيرة سنة احدى وسبعين وخمساية ثم جدد خارج الباب والقبة التي

(1) Le *Qirṭâs* indique que l'inscription de fondation porte la date de 528 (éd. p. 39) ; tandis que *Djadwat* (p. 40) donne la date erronée de 710.

احترفت وصنعت القبة من الجص على نحو ما هي الآن على يد احد عمال الموحدين في سنة ستماية كذا كتب فيها وكان الانفاق في ذلك من بيت المال وفي أيام القاضي أبي عبد الله محمد بن داوود زيد في الصحن بلاطان من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية كذلك وفرش الصحن في أيامه حسبما ذكره صاحب المقباس ومن الانيس ان الصحن كانت فيه فعرات يحتبس فيها الماء فتطوع العريف المشعر أبو عبد الله محمد بن احمد بن صخر بفرشه من ماله وكان له أربع من الدور موروثة عن أبيه فباعها وأنفقها فيما يحتاج إليه من أجور وجير وغيره وتولى فرشه بيده ولم يأخذ في ذلك كله من أحد شيئًا وقال انما ابتغيت بذلك وجه الله تعالى وهو الفرش الذي به الآن وفي طوله من شرق الى غرب مائتا صف وثلاثة وأربعون صفا في كل صف مائتا أجورة وثمان عشرة أجورة فيصح في تكسيره ثلاث وخمسون الف أجورة وثمان عشرة أجورة غير ست وعشرين أجورة وفي طوله أيضا من الاشبار مائة واثنين وثمانون شبرا وفي عرضه خمسة وعشرون شبرا ومما زاده القاضي محمد بن داوود بصحن الجامع المذكور فعل له مظلا من شقق كتان تنشر عليه كل يوم جمعة في زمن الصيف يحجب بها الشمس عن المصلين المتأخرين عن الرواح لبعد المنازل الّذين لا يجدون محيصا عنه لتضايق الجامع وجعل في اطنابه سلسلتان تجريان في بكر موثقة بالرفود الدائرة على جوانب الصحن ترتفع بها المظل مدة الحاجة اليه ثم انه يحط ويزول ويحدف إلى وقت الحاجة إليه أيضا وجعل في مواضعه فرجا يتنفس منه الهواء وبقي كذلك اعواما إلى ان تمزقت وأهمل النظر فيه وبكره ظاهرة الى الآن كذا انقله صاحب الانيس وقد أنشد في معنى ذلك

(الطويـــل)

تفسَّحَتِ ٱلدُّنيا بِعدلِك في الورَى   وفسَّحتَ لمّا ضاق للخَلْق جامِعا
شكى صحنُهُ شمسَ الظهيرة ضاحيا[1]   فأظللْتَه ظلّاً على الوهج دافِعا

ولما كثرت العمارة بالمدينة في أيام أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وضاق الجامع بكثرة المصلين الى ان كانوا يصلون بالشوارع والاسواق اجتمع فقهاء المدينة واشياخها ورفع ذلك للقاضي ابي محمد عبد الحق ابن عبد الله ابن معيشة الغرناطي سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودالّوا له كيف تصح الزيادة فيه وبينوا له وجوها في الاعانة على بنائه وعلموه ان كثيرا من أوقاف المساجد عند كثير من اهل فاس قد أدخلوها في منافعهم وحسبوها من اموالهم وانها تقوم بالنفقة بالزيادة المذكورة فشاوروا في ذلك الخليفة علي بن يوسف وأعلموه أن ذلك من عمل رفع الدين والتوسعة للمصلين لاسيما في يوم الجمعة الذي في أعياد المسلمين فاذن للقاضي[2] وتوجه الطلب على النظراء والوكلاء في ذلك ومحاسبتهم فذكر ان الذي أبرزته المحاسبة ثمانون الف دينار فضة ثم امر في شراء الاملاك التي كانت بقبلة الجامع فاشتراها باحسن شراء قيل ان اكثرها كانت لليهود لعنهم الله وكان أعلمهم أن من الفقه اذا ضاق الجامع فان جيرانه يجبرون على بيع ما يحتاج اليه منها فأجابوا لذلك وحين كمل لهم الشراء اراد ان يهدمه ويبيع ما لا يحتاج اليه من نقضه فاجتمع ذلك ازيد المشترات به ثم

(1) Mst = صاميا ; *Djadwat* = ضاحيًا ; on pourrait lire aussi صامحًا

(2) Le texte du mst donne له au lieu de للقاضي ; *Djadwat* = لهم .

أخذ في البناء فتمادى البناء في هـذه الزيادة فكملت عشر بلاطـات من صحنه الى قبلته وأخذ في عمل القبة التي باعلى المحراب وما يحاديهـا من وسط البلاطين المتصل بهما فعل ذلـك بالجـص المقربس (1) الفاخـر الصنعـة والنقش فيه على المحراب ودائـر القبلة التي عليـه ورُقش ذلـك كله بورقـة الذهب واللازورد واصناف الاصبغة وركب في الشماسات التي بجوانـب القبة اشكال متقنة من انواع الزجاج والوانه عـلى احسن ما أُريد ثم اخـذ في تغشية بعـض ابواب الجامـع بصفائح النحاس الاصفر بالعمـل المحكـم والشكل المتقن و امر بعمل المنبر الذي به الآن على نحو ما ذكر قبلُ من أجل ان الذي كان قبله قد درس وقد ذكرناه ثم بدا العمل في بنـاء مقدم(2) القبة حيث يدخل على مصلى الجنائز فعزل القاضي ولم يتـمّ ما اراده وذلـك في سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية وتقدم غيره ولـم يشرع في شيء مـن ذلـك وبقي على حالـه إلى ان ولى قضـاء المدينـة الشيخ الفقيـه ابو مروان عبـد الملك بن بيضاء القيسي سنة سبع وثلاثين وخمسمايـة ويذكـر انّ النقـش والتذهيب الذي كان باعلا المحراب ودائر القبة التي عليها غطي ذلـك كلـه بالكاغيد وعمل عليه الجص حين عزم الخليفة عبد المومن بن علي الدخول لفاس والصلاة في الجامع المذكور لان كان ذلـك مشغلا للمصلين ويذكر ايضـا ان التراب والكدان الذي بني به هذه الزيادة كان يخرج ذلـك مـن كهـف عميق تحت هذه البلاطات الثلاث والكهف الآن في باب مطبق بالقطعة

---

(1) Mst = المقوس ; *Djadwat* (p. 42) qui donne incomplètement ce passage, offre la leçon المقربس qui est préférable.

(2) Mst = مقام . *Djadwat* (p. 42) donne مقدم .

التي بين المحراب والباب المدرج المحدث هناك واما الماء الذي صرف في ذلك فكان يسقى من البئر الذى بصحنه كل ذلك تحريا من الشبهات كذا نقل صاحب المقباس وصاحب الانيس

الثريـــا الكبـرى

واما الثريا الكبرى فانها كانت بموضعها قبل عملها به ثريا مثلها في الجرم فدثرت وتكسرت وصنعت هذه في ايام الفقيه الخطيب ابي محمد عبد الله بن موسى المعلم رحمه الله تعالى وكان الانفاق عليها سبعمائة دينار وسبعة عشر دينارا وخُمس دينار من الدنانير الفضية كل ذلك من احباس الجامع وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن وفي زنة هذه الثريا سبعة عشر قنطارا وربع قنطار وفي دورها اثنان وثلاثون شبرا وعدد مراكيز قناديلها خمسمائة وعشرون والذي يملأ قوارير سرجها من الزيت خُمس قلل وكانت تارة تسرج كلها في ليالي رمضان وتارة لا تسرج إلى ان ولى الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابي الصبر قضاء المدينة فرأى أنه ان أسرجت كل ليلة من رمضان قد يكون ذلك سرفا في مال الجامع وان لم تسرج قد يكون ذلك تضيعا لِما أُريد بها فاقتضى نظره بعد ان استشار أمير المسلمين مولانا ابا يعقوب وانهى اليه امرها فامره ان ياخذ في ذلك بالاوسط من الامور وان تسرج كلها في طول ليلة السابع والعشرين من رمضان ويسرج بعضها في سائر ليالي العام فدام العمل على ذلك الى الآن وأنشد في ذلك

(البسيـــط)

تحكي الثريّا الثريّا في تالّقها   وقد لواها نسيــم وهي تـتّـقِـد
كأنها لـذوي الايمان أفئدة (1)   من التخشّع جوف الليـل ترتعِد

وكان الاستاذ المزياتي رحمه الله جالسا تحت هذه الثريا في ليلة السابع والعشرين ومعه الاستاذ ابن عبدون الاديب رحمه الله ومالك من المرحل ومحمد بن خلف فانشد الاستاذ ارتجالا

انظر الى ثريّة نورها يصــدع   باللألاء (2) سَجْف (3) الغســق

فقال ابن عبدون

كأنها في شكلها رُبْوة (4)   انتظم النــورُ بها فاتّسَق

وقال ابن المرحل

أُعيذُها من شرّ ما يُتّقَى   وفجأة العين برب الفلق

وقال ابن خلف

باهَى بها الاسلامُ (5) ما أشرقت .   كأساتها عند مغيب الشفق

ومما قيل في السروج

انظر الى سروج في الليل مشرفـة   من الزجاج حولها (6) وهي تلتهب
كانها ألسن الحيــات بــارزة   عند الهجير بما تنفك تضطرب

---

(1) Mst = . افدة

(2) Mst = . باللاء

(3) Mst = سحب ; tous ces vers sont cités dans *Djadwat*, p. 43.

(4) Mst = . وبرة

(5) Mst = . باهى بالاسلام

(6) *Djadwat* = . هواها

المستودع

واما المستودع الذي به الآن فانه عمل في أيام الفقيه الصالح أبي محمد (1) يشكر ليوضع فيه مال الجامع وأوقافه وكان الناظر في ايام بنائه الفقيه ابو القاسم بن احمد و بناه بعد ان حفر قاعدته الى ان وصل للارض الصحيحة ثم بلط ذلك بالرمل والجير والجص وحصن داخله وسقفه بخشب الارز عمل له خمس مناقيس بصفائح من حديد مقلوبة و بابان احدهما محدد كل ذلك على الوجه المحكم والعمل الوثيق وجعل لكل باب منها ثلاثة مفاتيح وجعل داخله صناديق كبار عليها أقفال وثيقة ثم وضع فيه اوقاف الجامع وأمانات الناس وكان الانفاق عليها من مال الاحباس فاحتيل عليه في ايام الفقيه ابي عبد الله محمد بن عمران وسرق منه مال واجتهد في البحث عن ذلك فلم يجد له خبرا

البيلة والخصة ودار الوضوء

واما البيلة والخصة ودار الوضوء واحداث البناء الذي في توسيع باب الحفاة وتجديدها وفتح الباب المقابل لفندق ابن حيون من الجهة الشرقية فان ذلك كله في أيام الفقيه الصالح ابي محمد يشكر يحكى أنه قدم اليه رجل من بني يازغة يعرف بموسى بن عبد الله ابن سدات (2) كان له مال كثير واستوطن مدينة فاس ولزم محبة الشيخ ابي

---

(1) Le mst = ابن عبد الله .

(2) Mst = الناظر .

محمد يشكر وذكر له ان بيده مالا طيبا ورثه من أبيه وان اباه اكتسبه من حرائة بيده في ارضه ومن ماشية تولدت عنده ويريد ان يصرفه فيما يحتاج اليه في جامع القرويين فتوقف الشيخ أبو محمد يشكر الى ان ينظر في ذلك وصار يُلحّ عليه في ان يعمل دار وضوء بقرب الجامع المذكور لتكون عونا للمصليين فلما رأى عزمه وتوسم فيه الخير حمله الى الجامع وأوقفه بين المنبر والمحراب واستحلفه ان ذلك المال طيب فحلف له ثم قال له اشرع الآن فيما اردت والله ينفعك بمقصودك فعمد الى فندق كان في موضع دار الوضوء فاشتراه وشرع في نقضه ثم بحث عن موضع يجلب له الماء لذلك فاعلم بمواضع شتى استشار فيها اهل المعرفة والنظر فلم يروا له اصلح من عين بدويرة بجرنيز وتعرف العين بعين قرمال[1] ومنها الى الجامع خمسمائة دراع فاشترى ذلك باضعاف القيمة حرصا على مراده ثم غرب من الشيخ أبي محمد ان يُعلم بذلك الامير الناصر الموحدي ويستاذنه في ان يجلب هذا الماء حيث يباح له من الشوارع فأجابه الى ذلك واعلم به الناصر[2] فاسعفه في مطلبه وشرع في بناء دار الوضوء وجعل لها خمسة عشر بيتا ولكل بيت مصراعان وفوق سقف كل بيت طاق لدخول الضوء وأخرى فوق بابه وعلق في كل طاقة من طيقان ابوابها صفيحة من الزجاج تسرج في اول الليل واخره وفي كل بيت انبوبة من نحاس ينصب منه الماء في نقير مجبور من حجر طوله شبران وعرضه شبر وفي سمكها قبة من جص مقربسة العمل مرقشة بانواع الاصبغة وعلق في وسطها ثريا ولها فوارير زجاج تسرج في

(1) On lit aussi خومان dans *Qirṭâs* et حرمال dans *Djaḏwat*.
(2) Mst = الناظر

اول الليل واخره ايضا وادار من الجهة القبلية والشرقية والجوفية احد عشر طاقا لدخول الضوء بجميعها وجعل بوسطها بيلة من الحجر الاحمر طولها عشرون .... وبجوانبها ثقبا من نحاس مموهة بالذهب ينصب منها الماء للبيلة ملعبا وينحدر منها الماء المستعمل في الوضوء ....(1) دائر كل ذلك من الرخام الابيض وحمل على بعضها (2) للقيم بها وقصد الى العين المذكورة فوجدها تنفجر من فوارتين في حجر صلد يجتمع الماء منها في بيت مقبو كبيت الحمام وجعل بازائه صهريجا مربعا طول كل جهة منه عشرة اشبار مملسا بالرصاص يطرقه الماء الخارج من البيت ثم اخرجه منه على شباك من رصاص شبه الشهدة الى فواديس من رصاص سعتها اكثر من شبر ثم مر بالفواديس منها إلى عقبة الملاحين إلى مسجد الشرفاء الى سماط القيسارية الى سوق الحرارين الى سوق القراقين الى المعدة التي (3) بالحانوت المتصلة بالبيلة المذكورة والسقاية المتصلة بها وللبيلة التي بباب الحفاة المغشية بالرصاص وطول هذه البيلة سبعة وعشرون شبرا وهي متصلة بخارج الباب وقد عمل عليها اشباك من خشب وفتح فيه اربع خوخات وارتفاع هذا الباب ستة عشر شبرا وقد فرش في ايام الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن ابي الصبر بالرخام الابيض والاكحل ويندفق الماء من جهة المعدة المذكورة إلى هذه البيلة المغشية بالرصاص ثم ينصب منها الماء على رخام أبيض وأزرق وأحمر يغسل فيه الحفاة

(1) Pour combler les lacunes, voir ce même passage cité dans *Djadwat* (p. 44).

(2) Ajouter ici, avec *Djadwat*, مصرية .

(3) *Djadwat* ajoute ici أعدها .

ارجلهم ثم يغور الماء فى فناة معدة لذلك ثم فدم لعمل البيلة والخصة التي بالصحن رجل من سجلماسة يعرف بالفقيه ابي الحسن بن عبد الله السجلماسي وكان من اهل الاثار والدين صنعهما له ابو عمران موسى بن حسن بن ابي شامة وكان من أهل المعرفة بالبناء والهندسة بعد ان استشار فى ذلك الفقيه الصالح ابي محمد يشكر واسعف فى ذلك(1) وعمل البيلة وما حولها من الرخام الابيض وجعل طولها اثنى عشر شبرا وارتفعها ستة اشبار وسعتها نحو ثلاثة اشبار(2) وعمقها كذلك وجعل مما يقابل الوافف اليها وعن يمينه وشماله ألواحا من الرصاص وادار بذلك تكفيف الرخام(3) وجعل على ذلك مما يقابل الوافف شباكا من الرخام الابيض من مائة واربعة وعشرين خاتما(4) وكتب تحته فى حجر منفوش بخط بارع بسم الله الرحمن الرحيم وصلى على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وإن منها لَما يشفق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون(5) كمل فى شهر جمادى الاخيرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة وجعل تحت ذلك فى الواح الرخام خمسة أنابيب يصب منها الماء فى البيلة المذكورة ثم ينحدر منها الماء بعد امتلائها فى عشرين ثقبا معدة لذلك فى الجهة المذكورة أي الشرفية وينصرف

---

(1) *Djaḏwat* (p, 46) = بذلك مراده.

(2) Ces mots وسعتها الخ manquent dans *Djaḏwat*.

(3) Les mots وجعل مما يقابل الخ manquent dans *Djaḏwat*.

(4) *Djaḏwat* ajoute ici مسدسة الاحكام.

(5) *Qoran* II, 69.

للخصة الفريبة (1) منها من جهة غربيها فد عملت من طافتين في دور كل واحدة منهما ثلاثة عشر شبرا فامت على ساق مفسوم على نصفين كل ذلك من النحاس الاصفر ثم يصعد الماء المنحدر من البيلة في النصف من الساق يغور في وسطها من ثمانية اثفاب بجوانب خرشفة من نحاس مموهة بالذهب ثم يغور منها الماء بعد امتلائها في اثفاب معدة لذلك بجوانبها ويجتمع في النصف الثاني من الساق فلا تزال البيلة والخصة مملوتين يفضي منهما المارب للمصلين والعاكفين والواردين وشربهم متى احتاجوا في ليلهم ونهارهم وهذه فضيلة تكرر على الدوام لهذا الجامع ولمن سعي في ذلك واعان عليه من خلفاء الاسلام ثم ينحدر ماء الخصة في فادوس الى الميضات التي بعين فرفف بالجهة الفبلية من الجامع المذكور وأما العنزة التي به الآن فانها صنعت حين كان الففيه أبو عبد الله بن ابي الصبر ناظرا في أحباس المسلمين وعلى جامع الفرويين ومن فوائدها انفق فيها وذلك سنة ثمان وثمانين وستمائة وفيها غرابة الصنعة ونفاسة الخشب واتفان الالصاق ودفة الخرط والنفش ما يفضي بالعجب ويصح بالمجاز ومما اصلح فيه الحائط الشرفي مع سفف البلاطتين المتصلتين به وذلك في ايام مولانا أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أبي يوسف رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثمانين وستمائة ونفق فيه من مال الجزية والاعشار واصلح فيه ايضا الحائط الجوفي من حد الساباط الفاصل بينه وبين الدار الموفوفة لسكنى أيمة المسجد الى حد باب السفر الذي هناك وذلك في ايام امير المسلمين مولانا أبي

---

(1) Ce mot manque dans notre mst, mais figure dans la *Djadwat*.

يعقوب رحمه الله وانفق عليه خلخال ذهب صار له من مال دخائر الروم وكان اصلاحه على يد قاضيه بالمدينة الفقيه أبي غالب ابن القاضي أبي عبد الرحمان المغيلي وذلك في سنة ست وتسعين وستمائة ومما احدث فيه الباب المدرج الذي بقبلته وذلك ان الوالي بالمدينة ابا الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجدودي تأمل الباب المدرج الذي بني في ايام الناصر الموحدي بجوفي جامع الاندلس وأراد ان يفخم أمر جامع القرويين ويصنع له هذا الباب ليكون مماثلا للباب المذكور فبناه على هيئته الآن وصنع اسفله نفيرا من الخشب مماس بالرصاص وجاب له الماء من عيون ابن الصادي المعروفة الآن بعيون الكرازين ليدخل عليه الحفاة وغيرهم وعمل عليه شباكا من خشب الارز بباب يدخل اليه من اراد الصعود الى ادراجه وصنع باعلا الادراج بابا عظيما وصنع عن يمين الخارج من اسفل الادراج سقاية ونمقها بالجص والزلات والحجر المنجور وأنواع الصبغة كل ذلك بصناعة محكمة ظريفة العمل وجلب اليها الماء من الموضع المذكور ويذكر أنه أنفق في ذلك من مستغلاته سنة اثنتين وتسعين وستمائة واراد ان يعلم بذلك امير المسلمين انه احدث في الجامع ما لا يحتاج إليه بغير إذن فامر أمير المسلمين بغلقه إلى ان ينظر في أمره فغفل عن ذلك فلم يزل الباب مغلقا إلى الآن ومما احدث فيه الامير ابو حفص رحمه الله ابن مولانا أمير المؤمنين أبي سعيد أن يجعل في الجهة الغربية من الجامع تسع من الطيقان لزيادة الضوء في تلك الجهة وأمر أن تجعل على المحراب مقصورة وشرع الصناع في عملها وأنشئت من ثلاثة أجناب من خشب الارز بصناعة النقاشين ارتفاع كل جانب منها تسعة اشبار وطول الاوسط منها ثلاثون شبرا

وهو الذي صنع فيه الباب وطول كل واحد من الاخرين خمسة وعشرون شبرا ثم ان الناس ظهر لهم ان في ذلك مضرة بانقطاع الصفوف وميلولتهم عن الامام وغير ذلك فرفعوا الامر في ذلك لفقهائهم فلقوا الامير المذكور وبينوا له ما ظهر للناس من الضرر وقالوا له مع ذلك امورا مصلحية فرجع عن عمله ثم وضعت في جهة من جهات الجامع وهو الآن بلقف الباب المدرج المغلق وكان عمله في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وكان الانفاق فيه من مال الاحباس على يد الناظر فيها أبي عبد الله محمد بن ميمون وكان الامير ابو الحسن رحمه الله اراد أن يجعل بهذه الاجناب مقصورة بجامع القصبة من فاس لصغر التي به وخدمها ولعله أنسى ذلك والله اعلم

النـــافـــوس الكبـــيـــر

واما النافوس الكبير المعلق بالبلاط الاوسط المقابل لباب الكتبيين فهو الذي أُلقِيَ بجبل الفتح من بر الاندلس لما افتتحه المسلمون على يد الامير الاسعاد الشهير بابي (1) مالك عبد الواحد ابن أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله تعالى وزنة هذا النافوس فيما قاله عز الدين بن جلبون عشرة قناطير ولما وصل لفاس أمر أمير المؤمنين أبو الحسن ان يعلق هناك بعد أن يعمل في جوانبه أجناح قائمة متعرفة (2) ليبقى ظاهرا ويعمل عليها مراكز لقوارير الزجاج التي تسرج فيه وبأسفله اوصال مبلغها اثنى عشر

---

(1) Mst = ابن.

(2) *Djadwat* (p. 46) remplace ce mot par ليقربه و.

تحت كل وصل منها بلّور مكعب وفي وسط ذلك طبق شبة الخاتم............ عن الاوصال وفي أسفل حروف الطبق بناديق مخروطة ونطاق ممدود في جوفه كل ذلك من النحاس الاصفر المنقوش المخدوم بصناعة محكمة وكتب على النطاق ما نصه « الحمد لله وحده امر بتعليق هذا النافوس المبارك أمير المسلمين وناصر الدين أبو الحسن ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين (أبي سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين) أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ايد الله سلطانتهم واسعد عصرهم في زمانهم وهو النافوس الملفى بجبل الفتح حرسه الله افتتحه بعون الله وتأييده أمير المسلمين ابو الحسن أيده الله ونصره على يد ولده الأمير الاسعد أبي مالك ومولانا أيده الله ونصره محاصرا مدينة سجلماسة » وكان افتتاح الجبل المذكور في يوم الاحد الخامس لشهر شوال المبارك من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وفي اثناء عمل النافوس عمل له فبة من الجص متقنة العمل وعلق بها في منتصف شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وكان الانفاق فيه من مال الاحباس على يد الناظر فيها احمد بن الاشقر الصنهاجي

الخزانة

واما خزانة الكتب التي يدخل اليها من اعلى المستودع الذي بها(1) فانه لما كان من راي ابي عنان رحمه الله تعالى حب العلم وإيثاره والاهتمام(2)

(1) Le mot بها manque dans notre mst ; il figure dans *Djadwat* (p. 56) qui donne ce passage.

(2) *Djadwat* = تهمم .

به والرغبة في انتشاره والاعتناء بأهله ومتحمليه والتودد لقرّائه ومتحليه انتدب لصنع هذه الخزانة واوسع على طلبة العلم بان اخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الابدان والادبان واللسان والاذهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها واجناسها ووقفها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب الله الاوفى وعين لها فيما لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة وأجرى له على ذلك جراية مابدة تكرمة وعناية وذلك في جمادى الاولى سنة خمسين وسبعمائة واما خزانة المصاحف التي أمر بها مولانا أمير المؤمنين أبي عنان رحمه الله تعالى في قبلة هذا الجامع الناطقة بالخير الجامع أنشى على حسنها ما لم يسبقه اليها احد من أيمّة هذه الاصقاع فانه رحمه الله تعالى صورها في ذهنه الثاقب المبير ثم أبرزها لمن صنع شخصها الجليل الحصين فأبدأ من ذلك ما هو المعهود من حسناته المأثورة وسهل بها على الناس تلاوة القرآن في كل وقت من الازمان واعدّ فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجليلة السنية وأباحها لمن أراد التلاوة فيها بعد ان كتب على كل شخص منها بخط يده لتوقيعها مرّ الاعوام والليالي والايام وتحجز لها من فيه لاخراجها من هذه الخزانة وإبرازها وردها لصيانها في موضعها واحرازها وذلك عند الفراغ من حاجة الناس اليها فلا يبدل ذلك ولا يغير إلى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وأجرى لذلك جراية واسعة وكرامة ورعاية وكتب فوق هذه الخزانة ما نصه الحمد لله أمر بانشاء هذه الخزانة السعيدة مولانا أمير المومنين المتوكل على رب العالمين عبد الله فارس أيد الله امره وأعزّ نصره بتاريخ شهر شوال سنة خمسين وسبعمائة رزقنا الله خيرها

زاويــة الــفــراء

وأما زاوية الفراء البهية التي أمر بها مولانا المستعين رحمه الله في شرقيّ هذا الجامع مسافتها على سابـاط هنالـك وجعل لقبليها وجوفيهـا من صناعة الخـرط والتزيين بالاصبغة ما يهيم به المارّ والسالـك ورتـب فيها قراءين يتلـــون القرآن ويجتهدون بطول السبعة ايام وعلى مر الازمان وأجرى جراية في كل شهر يشفعون فيها ومرتبون لذلـك بسببها وتم عملها في أواخر شهر رمضـــان سنة اثنتين وستين وسبعمائة

ابـــواب الجـامـــع

ولهـذا الجامـع من الابواب بيـن صغار وكبـار ثمانية عشر بابا منهـــا في الجانـب الغربى باب مجلس القضـاة ومصلى الجنائـز وباب الصغر الـذي يدخـل منه الخلفـاء لانتظـار شهود الجمعـة وباب الصغـر المعروف ببـاب القطاعيـن وباب الاوليـاء سمى بذلـك لكثـرة من يدخلـه من العبـــاد وباب الكتبيين وباب الشماعين الذي سعته ستـة عشر شبـرا وارتفاعه اربـع وعشرون شبرا وباب الموثقين المقابل لتربيعة الزافين وسعته وارتفاعه مثل الذي قبله وفي الجانب الجوفي باب الحفاة المقابل لدار الوضـوء القديمة وبـــاب الصغر المعروف بباب العميان سمى بذلـك لكثرة ملازمتهم للقعود فيه يمثلون للناس وباب بيـت النساء الاصغر بمؤخر الصحن وباب خصة المقابل لمدرسة الرخام وباب بيت النساء ايضا الذي باسفـل السابـاط الفاصل بين الجامـع

ودار .... في الجانب الشرقي الباب المقابل لطائفة من فندق ابن ميمون ويعرف بباب ابن عمر سمي باسم النجار الذي صنعه وهو المحدث في ايام ابي محمد يشكر والباب المقابل لدرب ابن حيون والباب المقابل لدار الخصة التي من احباس الجامع وباب المدرج الغريب المقابل لدرب السبع لويات ويتصل بزاوية القراء وفي الجانب القبلي الباب المدرج المحدث على يد الحدودي المغلق الآن والباب الاصغر الذي يدخل اليه رائقة ابن الفرديس[1]........ هناك لمن يدخل مستترا عن أعين الناس للخصومات والايمان وغير ذلك وبين مجلس القضاء والصحن الصغير والزاوية التي هناك بمقدم القبلة بابان فاصلان بذلك وبين مقدم الصحن والدارين المذكورين وقبلة الجامع خمسة ابواب فالاول الذي يدخله الخلفاء لشهود صلاة الجمعة عن يسار المحراب وباب موضع المنبر وثلاث مشارع لها اغلاق تنطوي عند فتحها من عمل جيد وصناعة غريبة والباب الاول من هذه الثلاثة القريب من المنبر منه يخرج الخطيب للجمعة ومنه يتوجه للصلاة على الجنائز ومنه للمقام المعلم للجنائز التي تكون هناك

سواري وسقوف وما أشبه ذلك

وعدد سواريها الكاملة لسقوفه ثلاثمائة سارية منها عشر من حجر ملون غريب الخلقة والمشترك من جملتها اثنتان وثلاثون وسائرها يدار عليها ومن الاتفاق الغريب في هذه السواري ان الثلاث منها عن يمين الواقف مستقبلا تحت

---

(1) Le copiste a écrit en marge ici : ورائقة ابن الفرديس هي الخرب التي بها الخرازين الآن التي من حساب احباس المرسطان واولا للفرديس .

الثرية الكبرى يبصر من دار بها جميع ابواب الجامع التي بداخله وطوله من شرق
إلى غرب الثلاثمائة وثمانون شبرا ومن مقدم القبلة إلى الجوف ثلاثمائة شبر
بعد تكسير مسافة المقدم المذكور وعدد بلاطاته احدى وعشرون من شرق الى
غرب وسبعة عشر من مقدم القبلة الى الجوف مع الصحن الاكبر الذي طوله
من شرق إلى غرب مائة شبر وثلاثة وتسعون شبرا وعرضه من قبلة الى
جوف خمسة وسبعون شبرا وبلاطاته المسقفة احد عشر بلاطا والكاسرتان
ومساحة جميعه ثلاثة مراجع وثلاثة ارباع من المرجع السجلماسية ويملاه
من المصلين ثلاثة عشر الفا على ان يكون في البلاط الواحد سبعمائة وخمسة
وستون شخصا او يكون فيه اربعة صفوف وفي الصف مائة وستون شخصا
وفي اساطين البلاطات مائة وخمسون شخصا بعد حط مواضع السواري وعدد
ثرياته التي توقد بها المصابيح مائة وثلاثون ثرية جميعها من النحاس مختلفة
الالوان والصناعات والاشكال والهيئات منها عشر معلقة في البلاط الاوسط
وفي الثريات يندرج العشرة نوافيس المكفنة بالنحاس والباقي الثريات
وذلك مائة وعشرون معلقة في سائره وزعموا ان فيها من مراكز السرج
الفان اثنان يوقد بعضها في سائر ليالي السنة ويكثر منها في ليالي رمضان
ويوقد جميعها في ليلة السابع والعشرين وعدد صبحات الزجاج التي توقد
فيه ايضا بطول ليالي السنة سبعون العارفات منها خمسون وسائرها ثاثلات
وبلديات وعمل في خارجه بدائرة حريمه في مواضع معروفة أربعون سراجا
يهتدى بها المارون في دربه وقد اعد لخدمة ذلك كله على الكمال ونادى
(الامير) بحكم ذلك وأجرى له جراية من فوائد احباسه وينبغي ان تكثر
سرجه وتغلظ فتائلها إذا كثر ماله فان الاستضاءة بها أنسا للمجتهدين ونفيا

لمكان الريب ومبلغ غلات أوقافه على اختلافها في بعض الاعوام عشرة الاف فضية ومن جملتها الفندق الكبير الشهير الذي بسوق الشماعين المحبس عليه من قبل مولانا أمير المسلمين أبي يعقوب رحمه الله تعالى وكان سبب تحبيسه أنه كان من جملة المستخلص لجانب الخلائف وقد أهمل فاما في أيام ولاية أبي عبد الله الحدودي بفاس أمره القاضي الفقيه محمد ابن ابي الصبر ببنائه واصلاحه فتوقف في ذلك وأراد أن يكون باذن من الخليفة فأشهد القاضي على نفسه شهودا أنه لم يوفق له في المحاسبة والا فهو الملتزم لما اتفق فيه فبناه الحدودي على ما هو الآن عليه تحت نظر ابي عبد الله ابن أبي الصبر ثم أعلم بذلك الخليفة ابا يعقوب فسال الحدودي عن ذلك فاعتذر له و بين له ما التزمه ابو عبد الله ابن أبي الصبر فاغتاض لذلك الخليفة وأمر باشخاصه و بعث اليه الحشم قوما بعد قوم وخيف من ذلك عليه فلما جاء القاضي مرّ في اثناء ذلك على الروضة التي دفن فيها الامام الحافظ بو بكر بن العربي رضي الله عنه واذا بفقير خارج منها ومخاطب ابي عبد الله بن أبي الصبر وقال له قل بحق لطفك بلطيف صنعك بجميل سترك دخلت في كنفك تشفعت بنبيك فحفظ ذلك ودخل على الخليفة وهو يذكر هذه الالفاظ فاقعده بازائه واظهر له الاكرام والاعتناء به ثم سأله عن سبب أمره للحدودي في الفندق فقال له أمرته بذلك لانه غلب على ظني أنك تحبسه على جامع القرويين فاستحسن ذلك وشكره وأشهد في الحين بتحبيسه كذا كان يتكرّر ذلك النقل عن ابي عبد الله ابن ابي زرع وغيره وصارت هذه الالفاظ التي دعا بها وكان تحبيس هذا الفندق بسببها عند الناس كنزا جامعا وحرزا نافعا يتوسلون بها إلى الله في

حوائجهم وظهرت عجائبها لكثير من الناس في مطالبهم ويذكر أن الرجل الذي لقنها إليه هو سيدنا الخضر عليه السلام

وعدد المؤذنين والقومة في غالب الاوقات أربعون شخصا ولهم على ذلك فوائد مختلفة على مر الاعوام واما قراءة الحزب فيه بعد صلاة الصبح والمغرب فانه كان امر به يوسف بن عبد المؤمن بن علي في سائر بلاده كذا نقله ابن صاحب الصلاة وانتدب لذلك ناس واستمر إلى ايالة مولانا أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله فانه أجرى جراية لعشرة أشخاص من القراء وأمر بذلك في سائر جوامع بلاده واما قراء الكتب فيه لاسماع الناس بعد الفراغ من قراءة حزب الصبح فإنّ بعض ايمّة الجامع في اول إيالة بني مرين أعزهم الله كان كثيرا ما يقرؤون بين يديه في أول النهار تفسير القرآن للثعلبي رحمه الله تعالى وحلية الاولياء .... وذلك في جهة خاصة منه وكان له قارئٌ محسن مجيد لذلك وكان يحضر له بعض الناس وكانوا يجلسون متفرقين حلقا حلقا وربما ياخذون في أمور الدنيا إلى ان تطلع الشمس فينصرفون فاشار هذا الامام على القارئ المذكور ان يتصدر حذو المحراب في الوقت المذكور ويقرئ هنالك من هذه الكتب فصولا لاسماع الناس فاجتمع إليه سائر من كان يجلس به وانتفع الناس بذلك كثيرا وربما اجتمع في المجلس الاف من الناس وذلك سنة احدى وخمسين وستمائة وأعلم بذلك من كان اذ ذاك من خلفائهم فاستحسنه واجرى للقارى جراية فاستمر ذلك الى الآن ومما جرى في انتصاب قبلته فيما حكى أن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ابا يوسف بن عبد الحق رحمه الله تعالى لما أمر ببناء المدرسة

اليعقوبيـة التي بقبلتـه سنة سبعين وستمائة وكان الذي انفرد لنصـــب
قبلتها المعدل أبو عبد الله محمد بن الحباك ولم يشاركـه في ذلـك غيره من
أهل علم الهيئة وظهر أنها منحرفة عن قبلة جامع القرويين انهى الامر في ذلك
لمولانا أمير المسلمين أبي يوسف وقال بعض من حضره ممن لا يحس السؤال
والجاوب في ذلـك أن في بعض المساجد فاسْ انحراف بعضها عن بعـض
فرأى رحمه الله ان جمع الفقهاء المذكوريـن في اهل زناتة للنظر في ذلـك
يحكى أنهم قالوا ان جامع القرويين نصبت قبلته على سمـت القبلة التي
نصبها الرجل الصالح مولانا إدريس بن إدريس بن عبد الله بـن حسن بن
حسن بن علي بـن ابي طالب رضى الله عنه ومر عـلى ذلـك مئون مـن
السنين وقد صلى إليه جماعات من العلماء والصلحاء والقضاء وأمراء العدل ممن
يقتدى بأقوالهم وأفعالهم وممن لا يحل لاحد أن يظن بهم الا خيرا فلم يغيـروا
ذلـك وما حرفوه وما يظهر في بعضها من الانحراف عن بعض قد يقرب من
الصواب على راي من يرى ان المطلوب من قبلة سائر الافاق إنما هو الجهة
لمكة شرفها الله تعالى والجهة في ذلـك حاصلة وهذا القول هو الراجح والا
فكيف يقدر على تعبير السمت أعني سمت البيت بل غاية ما عنـد الناس
في الآفاق الغائبة عن مكة شرفها الله تعالى المحافظـة على جهـة البيـــت
لا سمته وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة فاقرّ ذلـك
كله على حاله رحمه الله تعالى وقـد سلم هذا الجامع المبـارك مـن البـــدع
القبيحة ولم يتعرض فيه لما تعرض له في بعض الجوامع ومما ظهرت فيه بدعة
فان الله سبحانه يُلْهِـم من يزيلها فيزيلها

وجرى بي أول سنة تسع واربعين وسبعمائة (1) ان بعض المجودين لقراءة القرآن ان كان يقعد بين يديه الاحداث من الصبيان لتجويد القراءة بيجتمع إليه الناس الى ان حدثت بتن بسبب ذلك برفع ذلك للشيخ الفقيه الصالح المدرس أبي بارس عبد العزيز بن محمد القروي رحمه الله تعالى باشار على بعض من له الحكم النافذ أن يشتدّ بي تغيير ذلك ويمنعه كل المنع بمنعهم وبرق جمعهم لما راى ان هذا الصبي القارئ بين يدي هذا الشخص ليس ممن يقصد التعليم وليس جلوسه كجلوس المتعلمين أمر باقامته عملا على ما بي المعونة وغيرها من إقامة الذي يجلس بي المسجد يوم الخميس أو غيره لقراءة القرآن (2) ونظم ذلك الشيخ الاستاذ المقرئ ابو الحسن بن سبع رحمه الله تعالى قصيدة قُرئت على الشيخ أبي بارس المذكور بكانت سببا بي اشتداده على قيام هذا القارئ وهي هذه

(البسيط)

الا حقّقوا عنّي مقالا هو الجدّ   لمنهاج اهل الحقّ يُسعدُه القصْدُ
أقول احتسابا ليس مني تعصّبا   على أحدٍ ممّن ينظمه العقْدُ
ذوو العلم بي الاقراء ضاعتْ صِفَاتهم   ولم يبق منهم غير ما رَسْمُه يبْدو
رياء وعجب وانتصاب وشهرة   وتسميع من يُرجَى بتسميعه رفْدُ
ألم تر قاسَ الغرب أعظمْ بقدرها   وجامعها العظمَى التي بها تَعْتَدّ

---

(1) A partir de ces mots, tout ce qui suit a été rapporté d'après ce texte par l'auteur de la *Djadwat* (p. 47 et suiv.).

(2) Ces mots, à partir de ولما راى manquent dans *Djadwat*.

لنبع عبادةٍ وتوسيع موطنٍ جميع رجال الله[1] يأتونها وفدُ
فلا بدع فيها ولا مُنكر لها وأبوابها إن فُتحت فلها السدّ
تبرز للافراء فيها جماعة ولا خبرة تبدو لديهم ولا تغدو[2]
سوى نغمٍ يبدونها بتحيّر وتغريب[3] الحان لمن راح أو يغدو
فبعضهم في جمعة وخميسها يُجمّع حفلا ليس يحصرها العدّ
وعن مثل هذا حذّر الحبرُ مالك وقال لمن يُبديه في المسجد الطردُ
وبعض بتلميذ له حسن صورة شباب له صوت لنيل الهوى رصدُ
كأفراص[4] نحلٍ قد مُلئن بسمّها فباطنها حتف وظاهرها شهدُ
فيقعد امّا لا صقا جنبه وامّا أمامًا بارزًا للورى يشدو
يعظّمه بالقرب منه مكانه وذلك عند الله جل اسمه بُعدُ
ويعقبه جزءٌ من الوعظ رافعا به صوته كيما القلوب له تغدو
يردده والجهل غصّ بأهله برفع وحطّ هاكذا الصدر والوردُ
وجلّ كتاب الله عن حالة الغنا وتطريب أصوات بها يقع الوجدُ
وهذا لعمر الله اكبرُ بدعة يقابلها المنع المبرّح والردّ
لفاعلها لعن وتغليظ زاجرٍ[5] وأيضا وعيد في القيامة لا وعدُ
وما هذا آثار قوم تقدّموا من أهل كتاب الله أفناهم الجهدُ
فقد عُرفوا عند النهار بصومهم وفي ليلهم أيضا ألفهم السهدُ

---

(1) *Djadwat* = لبعل عبادات تسوع وموطن لجمع رجال اليه.
(2) *Djadwat* = ولا نفد.
(3) *Djadwat* = تطريب.
(1) Mst = كافواس.
(2) *Djadwat* = تغليظ عاجر.

مَضت بهم الاعصار يُبكى لِفقدهم   فيا أسفا إذ حل بي عنهم الفقد
مضى سلف الاخيار أكرم بقدرهم   واعقبهم قوم قد ابتدعوا نكدُ
وليس لهم فهمٌ به بتدبّر   معاني كتاب الله إذ منه يهتدُوا (1)
جميع علوم الخلق منه تفرعت   وكل حدود الله فهو له حدّ
أو امرنا والنهي قد وضحت به   ولاكنّ عينَ الجهل عن ذاك تنسدّ (2)
وقد حُرّمت فيه الفواحش كلها   سوا ظهرت أو ابطنت حالها فردْ (3)
وقد جاء في الاخلاص فيه اوامرٌ   وذمّ رياء الناس جاء به السردْ
وفي صحبة الاحداث ما ليس يُختفى   من الذمّ إذ في فعله عُدِمَ الحمدُ
مخالطهم في دينه سوف يرتدّ   ولو بعد حين إذ شياطنهم جندُ
ولا تصلح الصبيان إلا لمكتب   وليس لهم في موطن غيره رشدُ
فعمر بن يوحنّا ومُدرك عِبرةٌ   فبعدا لِذا منها عُرى المنع تشتدّ
بها تُضرب الامثال فاحذرْ سلوكها   طريقته حتى يُغيّبك اللحدُ
فكم من جليل القدر قد حُطّ قدرُه   ورفعتُه لمّا تلافته (4) المردُ
فان تقبلوا نصحي فاني نصحتُكم   ونفسيَ قد أوصيتُها ذاك لا تعدو
فمن كان ذا نصح لعلم يُقرّه   باخلاص تقوى الله يعقبه الرشدُ (5)

وقال الامام الشاطبي وهذا بأبياته التي مطلعها

---

(1) *Djadwat* = يمتد .

(2) *Diadwat* = تشتد .

(3) حالها رد dans *Djadwat* qui ne donne pas le vers suivant.

(4) *Djadwat* = تالفه .

(5) *Djadwat* = يتبعها المد .

(الطويل)

خذوا النظم عنّي وانظروا منه سِرَّهُ ولا يُخْتَشَى فِي اللحن(1) عمُرو ولا زَيْدُ
وإني لاهل العلم والديـن خادم نعمْ واشهدوا انـي لجملتهم عبْـدُ
فهـم عمْدتي فـالله ينفعُنـي بهـم وتشملني البُشْرَى من الله والسعْـدُ
واما رعاعُ النـاس من كل مُـدَّعٍ فليْـس له فبْـلُ لـديَّ ولا بعْـدُ
وليْس علـى الاعمـال منهم طـلاوةٌ مُقبَّحـةٌ منهـا الصحائـف تسـوَدُّ
فهم مثـل ما فالوا كـذا هو عندنـا ومن أنتم حتى يكون لكم عبْدُ

ومدرك المشار اليه في هذه الابيات هو الذي انشد الرجز المشهور في شان عمر بن يوحنّا النصراني ولولا ما التزمناه من ستر الحجابات ودفن السيّات لشرحنا أمرهما والله يعصمنا من الفتن والزلات فمن الرجز فوله

(الرجـز)

من عاشـقٍ ناءٍ هَـواهُ دانٍ ناطق دمع صامتُ اللسـان
موثَق فلـبٍ مُطاَق الجثمـان معذّب بالصـدّ والهجـران
من غير ذنـب كسبت يـداه غير هـوًى نمّـت به عينـاه
شوفا الى رُؤيَـة من أشفـاه كأنـه فعـاه من أضنـاه
يا ليتني كنـتُ لـه زنّـارا يُديرني في الخصر حيث دارا

وهذا الجامع المبارك فد يشكو بلسان حاله في بعض الازمان عند اهماله وذلك ان الذين أسسوه و زادوا فيه الزيادات و رتبوه وحبسوا له الاوفاف

---

(1) *Djadwat* = في الحق .

وعظموه ومنعوا السرف وحددوه وإنما فعلوا ذلك بنية صالحة وعزمات ناجحة وإنما لكل أمرء ما نوى فينبغي أن يسلك فيه طريق الاولين ويتبع فيه سبيل المؤمنين والقيام بالمساجد ركن من أركان الدين وطهارتها ونظافتها شرط في صلاة المصلين وهي بيوت الله ان ترفع وتظهر للقائمين والعاكفين والركّع واحوال الدنيا فيها ممنوع وأعمال الاتية الاخراوية فيها مشروع والصلاة هي اول ما ينظر فيها من أعمال العبيد فاما القرب من الله بقبولها أو الطرد والبرّ بردّها فرحم امرءا وافى امرها وأدّى الامانة التي طوقها وضبط احوالها ونمى أموالها وأخذه من حله بعد الاجتهاد وصرفه في مواضعه بالنظر الديني ووجه السداد وازال ما يكون من ضرر فيها واستقصى امورها حتى يستوفيها فذلك يكون ممن رفع قدرها واستوجب أجرها ومهما استصحبها الاهمال والاعراض شكت إذ ذاك بلسان الحال لربها روى ان مسجدا من المساجد ارتفع الى السماء شاكيا الى الله بأهله لعملهم أعمال الدنيا فاستقبلته الملائكة وقالوا بُعِثْنَا بهلاكهم حكى معناه الامام الطرطوشي رحمه الله في كتابه المسمى بالنهي عن الحوادث والبدع الذي في تواليفه وحملني (ذلك) على سرد هذه الفصول لتكون تنبيها لمن ولى امرها من الغافلين وايقاظهم من السنات عسى الله ان ينفعني واياهم في الحية وبعد الممات(1)

بنـــاء جامـــع الأندلـــس

فلنرجع الى بناء جامع الاندلس وانما بناء جامع الاندلس فان الذين اعتنوا بتاريخ فاس ذكروا أنه ابتدى البناء فيه سنة خمس وأربعين

(1) Tout ce qui précède, à partir de ومدرك المشار إليه, manque dans la *Djadwat*, mais ce qui suit y figure (p. 49).

ومائتين على يد مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري بعد أن اشترت أرضه بوجه صحيح وأنفقت في ذلك كله من مالها الموروث عن أبيها وسمي بذلك لان الامام إدريس بن إدريس لما وفد عليه وفد فروا من جزيرة الاندلس أنزلهم بالعدوة الشرقية من فاس فسميت لذلك بعدوة الاندلس فلما أسس جامعها وكان ممن أعان في بنائه جملة من الاندلسيين الساكنين هناك سمي الجامع بهم وقال البكري في مسالكه أنه من ست بلاطات وله صحن صغير به أصول جوز وغيره من الاشجار وسقاية غزيرة الماء تعرف بسقاية مصمودة ويذكر أن احد اعمال الناصر لدين الله المرواني حين تغلب على بعض بلاد المغرب زاد فيه زيادات من جملتها الصومعة التي فيه وذلك في جمادى الاولى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة حسبما كتب في عتبة بابها ونقلت الخطبة اليه من جامع الاشياخ على يد حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي حين تغلب على فاس سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان أول خطيب خطب به الفقيه الصالح أبو الحسن بن محمد الصدفي فلم يزل الامر على ذلك إلى أن زيدت فيه الزيادة المشار إليها على يد عامل الناصر لدين الله ولم يزل ايضا كذلك إلى ان انهى للناصر الموحدي سنة ستمائة أنه يحتاج الى الاصلاح والبناء فأمر ببناء الباب الكبير الجوفي الذي به الدرج وسعته عشرون شبرا وارتفعه سبعة وعشرون شبرا وأدراجه اربعة عشر درجة وباسفل ادراجه شباك من خشب الارز فيه ثلاثة ابواب في الاوسط بيلة من الحجر الاصفر ينفجر بها الماء من وادي مصمودة الذي يمر بأسفل هذا الباب الاكبر ليغسل الحفاة بها أقدامهم وصنع باعلا هذا الباب قبتان أحدهما من جص مقربسة من داخله والثانية من

خشب الارز من خارجه وكان بها طلسم للخطّاف لا يدخلها ولا يمر بها ولا يعشش فيها وتعطّل في سنة عشرين وسبعمائة وأمر امير المسلمين الناصر ايضا ببناء سقاية ومدخل لبيت صلاة النساء وعليها مصرية لِأيمّة الجامع وذلك عن يمين الخارج من الباب المدرج المذكور وبالقرب من ذلك دار الوضوء تحاكي التي بجامع القرويين وخصتها أمر بعمالها السيد أبو زكرياء يحيى نجل خلفاء الموحدين وأنفق فيها من ماله ولم يزل الجامع كذلك الى أن اعتلت سقفه وجملة سواريه فأنهى خطيبه الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم بن حسونة أمر هذا الجامع لامير المسلمين مولانا أبي يعقوب رحمه الله فأمر باصلاحه وذلك على ما هو عليه الآن في سنة خمس وتسعين وستمائة

وكان الناصر الموحدي قد جلب الماء له بعين خارج باب الحديد فاعتدل في مواضع وجلب له الماء من وادي مصمودة الى ايالة أمير المسلمين أبي ثابت فأمر بجلب الماء له من العين التي بخارج باب الحديد وبناء السقاية الغربية من جوفه وذلك سنة سبع وسبعمائة

وعدد بلاطاته من شرق الى غرب خمسة عشر بلاطا ومن قبلته إلى جوفه ثلاثة عشر بلاطا وفي قدم منكبه المرتفع مقدار بلاطا بعد تعديل انحرافه بالمساحة وفي طوله على هذا من قبلة إلى جوف مائتا شبر وعرضه كذلك فيكون في البلاط الواحد وأساطينه من اشخاص المصلّين ثلاثمائة شخص فعدد ما يملاه من المصلين على هذا أربعة آلاف شخص ومائتا شخص بعد حط مواضع السواري وعدد سواريه مائة سارية واربع وثلاثون سارية وأما صومعته ففي كل وجه منها ستة عشر شبرا وفيها من الادراج أربع وسبعون درجة وارتفاعها سبعون شبرا فيما ذكر وفي اعلى

هذه الصومعـة فبـة لجلوس المؤذنين لتـداول الاذان وعدد المؤذنيـن والفومـة بي هذا الجامع المبارك عشرون شخصا ولهم على ذلـك عوائد و بوائد معلومة عندهم وفد عمل بي اعلى هـذه الصومعة صـارى من خشـب ينشر بيه علـم أبيض بي اوفات صلاة النهار وبنار مسرج بي أوفات صـلاة الليـل بى أول إيالة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله والمؤذنون بي هذه الصومعـة يفتضون بي اذانهم بأذان اهل جامع الفرويين على العادة الفديمـة المتداولـــة الآن وعدد ثرياته الكبرى والصغرى احدى وستون ثريا الكبار منها خمس فد علفت بالبلاط الاوسط منه و بفيتها بي سائر الجامع بي مواضع معلومة منه و بيه مـــن الصبحيات العرافيات خمس بفـرب محاربه وثلاثـون بسائره وبي بـــرش صحنه من الاجر من شرق إلى غرب مائة صب واثنـان وثلاثون صبا بي كل صب مائتا أجورة وله من الابواب تسعة بمن الجانـب الغربي ثلاثة ومـن الجوبي الباب المدرج المذكور ومن الجانب الشرفي خمسة منها اثنان يدخل منهما الماء لمفدم الجامع الذي يصلى بيه على الجنائز وبين مفدم الجامع و بيته الاعظم بابان مدرجان احدهما عن يسار المحراب لدخول الخلفاء مهمـــا أرادوا شهود صلاة الجمعة والثاني عن يمين المحراب والمنبر ومنه يخرج الخطيب ومنه يتوجه للصلاة على الجنائز

وكان جملة من الففهاء يدرسون العلم بي مواضـــع من هذا الجامع وكانوا اهل الشورى ممن يفتدى بهـم يفصدهـم الناس مـــن أفطـار البلاد بمـن متجـرد لتـلاوة الفرآن ومن مـدرس ومن طالب لما شـاء مـــن بنون العلـم بي مجالـس شتى وكـــان بيه ايضا جملـة من الصلحـاء والعباد يلتزمونـه فد تفرغوا للعبـادة بعـد تحصيـل العلـم ويفصدهـم الناس للبتـوى وطلب العلـم

والتماس الدعاء كالفقيه الولي الصالح الورع جبر الله بن القاسم الاندلسي نزل عدوة الاندلس من فاس وهو ممن ادخل علم مالك اليها وهو من مشاهير فقهائها ومتقدميهم لقي اصبغ بن الفرج وسمع منه كذا قال صاحب المدارك حدث عنه أن رجلا رأى في النوم كأن قائلا يقول له إن شئت ان ترى نظير معاذ بن جبل فصلّ في الجانب الغربي من جامع الاندلس فالذي يدخل وعليه برنس وصفته كذا وكذا هو ذلك ففعل الرجل فاذا بجبر الله ابن القاسم رضي الله عنه على الصفة الذي ذكر له القائل في النوم وهو ممن لحق دراس بن اسمعيل ويذكر أن دراسا رحمه الله لما قدم بكتاب محمد ابن المواز قال له جبر الله ما الذي جئت به فأخبره بالكتاب المذكور فقال له اذكر منه فجعل درّاس يذكر المسائل وجعل جبر الله يجيبه بما حفظ وما لم يحفظه قاسه على أصول مذهب مالك رحمه الله فما خالف كتاب محمد بن المواز الا في مسئلة الثور إذا اشتراه في اول الدراس ولم يشرط أنه دراس فوجده لا يدرس فهل هو عيب يرد به ام لا كذا المفيد بخط الفقيه ابي عبد الله محمد ابن القاضي ابي العباس احمد بن ميمون القشتالي رحمه الله تعالى وكان يلتزم هذا الجامع المبارك وولى القضاء بعدوة الاندلس الفقيه الصالح الولى ابو محمد عبد الله بن محسود الهواري قدم من مدينة باوربة(1) ونزل في جهة باب بني مسافر عن عدوة فاس الاندلس وكان رحمه الله عدلا في احكامه ورعا في جميع احواله رحل الى القيروان ولقي محمد بن ابي زيد رضي الله عنه وشاهد تاليفه النوادر وكان يعدّ من رجال المدونة ثم ولى القضاء بمدينة

---

(1) C'est peut-être تاوريرت qu'il faudrait lire ?

فاس كما ذكروكان رجلا مقلّا من الدنيا مجتهدا في الاحكام اقام الحدود كلها فتل وصلب وقطع الايدى واقام اللعان وغير ذلك ولما توفى رحمه الله طُلِبَ في فاس مَن يعامله في شيء فلم يوجد له معامل فبحث عن سمنه وزيته من اين كان يشتريه فوجد له صاحب بمكناسة الزيتون يشتري له بها الزيت والسمن ويبعثه إليه ويأتيه قوته من القمح من هوارة وزوجته تغزل له كسوته من الثياب القطنية رضي الله عنه وقبره بخارج باب الجيسة في اسفل الموضع المعروف بالقبة له كرامات يطول ذكرها والدعاء عند قبره مستجاب .

وقصدنا بهذه الحكايات وامثالها البركة في سرد اقوالها وجاء نزول الرحمة عند ذكرهم وذكر امثالهم فانه قال صفيان ابن عيينة رضي الله عنه عند ذكر الصالحين تنتزل الرحمات وقال بعض المشائخ حكايات الصالحين جند من جنود الله تعالى يثبت بها قلوب اوليائه وشاهد قوله تعالى وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكُمْ وما احسن قول القائل

(الوافر)

أحِبّ الصالحين ولسْتُ منهم وأرجُو أنْ أنالَ بهِمْ شفاعَة
وأبغُض منْ بضاعتهِ المَعاصِي وإن كُنّا شريكا في البضاعة

وهنا انتهى القول فيما قيدته والله سبحانه ينفع بما قصدتّه ونويته مع اني لست من اهل التاليف ولا من اهل المعرفة بالتصنيف لكن اذا صرم النبت رُعي الهشيم لعمر ابيك ما نسب العلا التي كرمٌ وفي الدنيا كريم ولاكن البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتُها رُعي الهشيم فمن نقل ما قاله الناس فما عليه من بأس فمن وجد في هذا التقييد خطأ فليصلحْ أو زللا فليسمحْ فالعصمة من

الخطأ متعددة وأوقات البحث غير مستحصرة والامر كله لله ولا حول ولا قوة الا بالله الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وحسبنا الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى على سيدنـــا ومولانـا محمـد المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أثيرا يُرَدّ عليه بُكْرة واصيلا انتهى